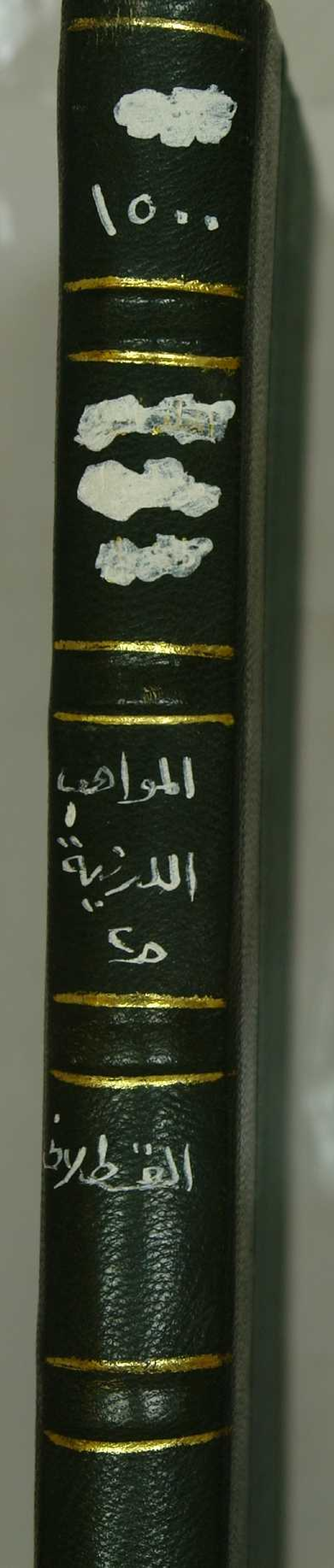
المواهب اللدنية بالمنح
١٠
المحمدية ج٢

للقسطلاني


١٥٠٠
المواهب
اللدنية
م٢
القسطلاني

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ... تأليف احمد بن
محمد ... القرن ٩ أو ١٠هـ (البطاقة رقم ٢)
- جـ٢ : يبدأ من المقصد السادس إلى أثناء الفصل الثاني
من المقصد الثامن ، جـ٣ : يبدأ من أثناء الفصل الثاني من
المقصد الثامن الى آخر الكتاب .

١٥٠٠

الاعلام ١ : ٢٢١ ، كشف الظنون : ١٨٩٦

١- السيرة النبوية أ- القسطلاني ، احمد بن محمد
(٨٥١-٩٢٣هـ) ب- تاريخ النسخ .

---

٢١٩ م٠ق

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، جـ ٢ ، ٣ ، تأليف احمد
ابن محمد بن ابي بكر بن عبد الملك المصري الشافعي ،
شهاب الدين ابو العباس (٨٥١-٩٢٣هـ) . كتبت
في القرن ٩ أو ١٠هـ تقديرا .

١٥٠٠

٢ مج (٩٦-١٦٥ق) ، ٢٩س ، ٢٦,٥×١٦,٥ سم
نسخة نفيسة ، منقولة من نسخة المؤلف المكتوبة سنة
٨٩٨هـ ، خطها نسخ قديم ، مطبوع .

لتكملة في البطاقة الثانية)

~~مدح رسول الله اسرار التنزيلی~~

بو کتابک اسمی مواهب لدنیه جلدی ثانی

مدح رسول الله اسرار التنزيلی

٦٦

المجلد الثاني

من أسرار التنزيل

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

المقصد السادس

فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره صلى الله عليه وسلم

اعلم اطلعني الله وإياك على أسرار التنزيل، ومنحنا بلطفه تبصرة تهدينا إلى سواء السبيل، أنه لا سبيل لنا أن نستوعب الآيات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والإشارة إلى علو محله الرفيع ومرتبته ووجوب المبالغة في حفظ الأدب معه، وكذلك الآيات التي فيها ثناؤه تعالى عليه وإظهار عظيم شأنه لديه وقسمه تعالى بحياته ونداؤه بالرسول والنبي ولم يناده باسمه بخلاف غيره من الأنبياء ناداهم بأسمائهم إلى غير ذلك مما يشير إلى إنافة قدره العلي عنده وأنه لا مجد يساوي مجده، ومن تأمل القرآن العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، ويرحم الله ابن خطيب الأندلس حيث قال:

مدحتك آيات الكتاب فما عسى ... يثني على علياك نظم مديحي

وإذا كتاب الله أثنى مفصحا ... كان القصور قصار كل فصيح

وهذا المقصد يرحمك الله يشتمل على عشرة أنواع

النوع الأول في آيات تتضمن تعظيم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته على الأنبياء وتشريف منزلته

قال الله تعالى: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله، قال المفسرون يعني موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة، وليس نصا في اختصاص موسى بالكلام فقد ثبت أنه تعالى كلم نبينا أيضا كما مر.

فإن قلت إنه عليه السلام كلمه ربه وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه لموسى؟ أجيب بأن اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد، يعني أن كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم وجوبا، وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد، وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف أن يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين، وهذا ملخص وتحرير ما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى. وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه بالذات في

المعراج

المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لأنه عليه السلام أوتي من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله. قال الزمخشري: وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهى. وقد بينت هذه الآية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض أن مراتب الرسل والأنبياء متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بأنه لا فضل لبعضهم على بعض، وفي هاتين الآيتين رد عليهم. وقال قوم آدم أفضل لحق الأبوة، وتوقف بعضهم فقال السكوت أفضل، والمعتمد الذي عليه جماهير السلف والخلف أن الرسل أفضل من الأنبياء وكذلك الرسل بعضهم أفضل من بعض بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما. **قال** بعض أهل العلم فيما حكاه القاضي عياض: والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال: أن تكون آياته ومعجزاته أظهر وأشهر، أو تكون أمته أزكى وأكثر، أو يكون في ذاته أفضل وأظهر، وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه انتهى. فلا مرية أن آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته أظهر وأبهر وأكثر وأبقى وأقوى، ومنصبه أعلى، ودولته أعظم وأوفر، وذاته أفضل وأطهر، وخصوصياته على جميع الأنبياء أشهر من أن تذكر، فدرجته أرفع من درجات جميع المرسلين، وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين. وتأمل حديث الشفاعة في المحشر وانتهاءها إليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، رواه ابن ماجه. وفي حديث أنس عند الترمذي: أنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، لكن هذا لا يدل على كونه أفضل من آدم بل من أولاده، فالاستدلال بذلك على مطلق أفضليته عليه الصلاة والسلام على الأنبياء كلهم ضعيف. واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني على مطلق أفضليته عليه السلام بقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس، قال لأنه لا شك أن خيرية الأمة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه. واستدل له الفخر الرازي في المعالم بأنه تعالى وصف الأنبياء بالأوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، فأمره أن يقتدي بآثارهم فيكون إتيانه به واجبا

والا فيكون تاركا للامر واذا اتى بجميع ما اتوا به من الخصال الحميدة فقد
اجتمع فيه ما كان مفرقا فيهم فيكون افضل منهم وبان دعوته عليه السلام
في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف ساير الانبيا فظهر ان
انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم اكمل من انتفاع ساير الامم بدعوة
ساير الانبيا فوجب ان يكون افضل من ساير الانبيا انتهى هو وقد روى الترمذي
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت
لوايي وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيامة
وهذا يدل على انه افضل من ادم عليه السلام ومن كل اولاده **وروى** البيهقي
في فضايل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد
العرب فقالت عايشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد
العرب وهذا يدل على انه افضل الانبيا بل افضل خلق الله كلهم وقد روى هذا الحديث
الحاكم في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب وقال
انه صحيح ولم يخرجاه وله شاهد من حديث عروة عن عايشة وساقه من طريق احمد بن عبيد
ابن ناصح نا الحسين بن علوان وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه به بلفظ
ادعوا لي سيد العرب قالت فقلت يا رسول الله الست سيد العرب فقال وذكره وكذا
اورده من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف ايضا عن ابي الزبير عن جابر مرفوعا
ادعوا لي سيد العرب وذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة بل حكم الذهبي على الحكم
على ذلك بالوضع انتهى فلم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على
من دونه حاشاه الله من ذلك وانما قاله عليه السلام اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما
للامة بتقدم امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه صلى ليعرف نعمة الله عليهم
وعليه هو كذلك العبد اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهد من عين المنة ومحض
الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة وعدم استغنايه عنه طرفة عين انشا له
ذلك في قلبه سحايب السرور فاذا انبسطت هذه السحايب في سما قلبه وامتلا افقه
بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل
وحينيذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته
كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره والافتقار
والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما الاخر والى هذا المعنى يشير قول العارف الرباني
سيدي علي الوفوي في قصيدته التي اولها

من انت مولاه حاشا … علاه ان يتلاشا
والله يا روح قلبي … لا مات من بك عاشا
قوم لهم انت ساق … لا يرجعون عطاشا
لا قصد هو جناحا … له وفاوك راشا
بك النعيم مقيم … لمن وهبت انتعاشا
ومن بحولك يقوى … لن يضعف الدهر حاشا
عبد له بك عز … فكيف لا يتحاشا
حاشا وفاوك يرمي … من انت مولاه حاشا

فان قلت فما الجمع بين هاتين الاثنين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم ونحن له مسلمون وللحديث الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال
استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسمه لا والذي
اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم اليهودي فقال اي خبيث وعلى محمد
فجا اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال صلى الله عليه
وسلم لا تفضلوني على الانبياء وفي رواية لا تفضلوا بين الانبياء وحديث
ابي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم لا انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا
بين الانبيا وحديث ابن عباس عند مسلم مرفوعا ما ينبغي لعبد ان يقول
انا خير من يونس بن متى وحديث ابي هريرة عند الشيخين ومن قال انا خير
من يونس بن متى فقد كذب **اجاب** العلما بان قوله عز وجل لا نفرق
بين احد منهم يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل
الله وانبياوه والتسوية بينهم في هذا لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض
واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم ان نعتقد ان الله فضل بعضهم
على بعض على الجملة ونكف عن الخوض في تفصيل التفصيل بارايِنا **قال** ابن ظفر
فان اراد هذا القايل انا نكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بارايِنا فصحيح
وان اراد انا لا نذكر في ذلك ما فهمناه من كتاب الله تعالى وروي لنا من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقيم وقال بعضهم نفضل من رفع الله درجته
بخصايص الحظوة والزلفى ولا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المنذرين
والصبر على الدين والنهضة في اداء الرسالة والحرص على الحي هدى الضلا ...

فان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلفه الله اكثر منه وقال اخر
مما ذكره القاضي عياض ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم
انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل
بلا علم فقد كذب قال الحافظ عماد الدين بن كثير وفي هذا نظر انتهى ولعل
وجه النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من ذلك وقال اخر انما قاله صلى الله
عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب قال القاضي عياض
وهذا لا يسلم من الاعتراض وقيل لا يفضل بينهم تفضيلا يودي الى تنقيص
بعضهم او الغض وقيل منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبيا
عليهم السلام فيها على حد واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال
والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما
التفاضل بامور اخر زايدة عليها ولذلك منهم الرسل واولوا عزم انتهى وهذا
قريب من القول الثاني وقال ابن ابي جمرة في حديث يونس يريد بذلك
نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت الفضيلة
بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري به الى فوق السبع الطباق
ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم
القيامة وقال عليه السلام ادم ومن دونه تحت لوائي وقد اختص صلى الله
عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبياء عليهم السلام فهذه
الفضيلة وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني
على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد صلوات
الله وسلامه عليه وان اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس
عليه السلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه
وتعالى على حد واحد انتهى هو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وعزى مثله
لامام الحرمين وقال ابن المنير ان قلت في انه لم يفضل على يونس باعتبار استوا
الجهتين بالنسبة الى الوجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين
في تفضيل الحق فانه تعالى فضل الملا الاعلا على الحضيض الادنى فكيف لا نفضله
عليه السلام على يونس وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال
قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان
يفهم منه القرب المكاني فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهى واختلف
هل البشر افضل من الملايكة فقال اهل السنة والجماعة خواص بني ادم وهم

الانبيا افضل من خواص الملايكة وهم جبريل وميكاييل واسرافيل وعزرايل
وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملايكة
افضل من عوام بني ادم قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة
وعوام بني ادم افضل من عوام الملايكة فالمسجود له افضل من الساجد
واذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام
فعوام الملايكة خدم عمال الخير والمخدوم له فضل على الخادم ولان المومنين
ركب فيهم الهوى والعقل مع تسلط الشيطان عليهم بوسوسته والملايكة
ركب فيهم العقل دون الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم فالانسان كما قال
في شرح العقايد يحصل الفضايل والكمالات العلمية والعملية مع وجود
العلايق والعوايق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية
الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل
والصوارف اشق وادخل في الاخلاص فيكون افضل والمراد بعوام بني ادم
هنا الصلحا لا الفسقة كما نبه عليه العلامة كمال الدين بن ابي شريف المقدسي
قال ونص عليه البيهقي في الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا
في الملايكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل
من الملايكة والاوليا من البشر افضل من الاوليا من الملايكة انتهى وذهب
المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملايكة وهو اختيار القاضي
ابي بكر بن الباقلاني وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه الاول ان الملايكة
ارواح مجردة كاملة بالفعل مبراة عن مبادي الشرور والافات كالشهوة
والغضب وعن ظلمات الهيولى والصورة قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكواين
ماضيها واتيها من غير غلط والجواب ان مبنى ذلك على الاصول الفلسفية
دون الاصول الاسلامية الثاني ان الانبيا مع كونهم افضل البشر يتعلمون
ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى وقوله تعالى نزل به الروح
الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب ان التعليم من الله
تعالى والملايكة انما هم مبلغون الثالث انه اطرد في الكتاب والسنة تقديم
ذكرهم على ذكر الانبيا وما ذلك الا لتقدمهم في الشرف والرتبة والجواب ان ذلك
لتقدمهم في الوجود او لان وجودهم اخفى فالايمان بهم اقوى وبالتقدم اولى
الرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون
فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملايكة من عيسى اذ القياس في مثله

الترقي من الادني الي الاعلا يقال لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان
ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قايل بالفضل بين علي عليه السلام وغيره من
الانبيا عليهم السلام والجواب ان النصاري استعظموا المسيح بحيث يرتفع من ان
يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا لله لانه مجرد لا اب له وكان يبري
الاكمه والابرص ويحيي الموتي بخلاف ساير العباد من بني ادم فرد عليهم بانه لا يستنكف
من ذلك المسيح ولا من هو اعلا منه في هذا المعني وهم الملايكة الذين لا اب لهم ولا ام
ويقدرون باذن الله تعالي علي ما هو اقوي واعجب من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتي
فالترقي والعلو انما هو في امر التجرد واظهار الاثار القوية لا في مطلق الشرف
والكمال فلا دلالة علي فضيلة الملايكة انتهي ثم ان الملايكة بعضهم افضل من
بعض وافضلهم الروح الامين جبريل المزكي من رب العالمين المقول فيه من ذي
العزة انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
فوصفه بسبع صفات وهو افضل الملايكة الثلاثة الذين هم افضل الملايكة
علي الاطلاق وهم ميكاييل واسرافيل وعزراييل وكذلك الرسل افضل من الانبيا
وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض ومحمد افضل الانبيا والرسل كما تقدم
واول الانبيا ادم واخرهم نبينا صلي الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فبالكتاب
الدال علي انه قد امر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي
لا غير وكذا السنة والاجماع فانكار نبوته علي ما نقل عن البعض يكون كفرا
وقد اختلف في عدد الانبيا والمرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث
ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال
ماية الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم
قال ثلثماية وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال ادم
ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس
وهو اول من خط بقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر
واول نبي من بني اسرايل موسي واخرهم عيسي واول النبيين ادم واخرهم نبيك
وقد روي هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم
وقد وسمه بالصحة وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم ابن هشام
قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من ايمة الجرح والتعديل
من اجل هذا الحديث فالله اعلم وروي ابو يعلي عن انس مرفوعا كان فيمن خلا من اخواني
من الانبيا ثمانية الاف نبي ثم كان عيسي بن مريم ثم كنت انا والذين نص الله تعالي

علي



علي اسمايهم في القران ادم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم
ولوط واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب
وموسي وهرون ويونس وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحيي
وعيسي وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين وقال الله تعالي ورفعنا
لك ذكرك روي ابن جرير من حديث ابن عباس ابي سعيد ان رسول
صلي الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطحاوي
وصححه ابن حبان وروينا عن الشافعي قال انا ابن عيينة عن ابن ابي
نجيح معناه لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
قال الشافعي يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال
ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية
انتهي وقيل رفعه بالنبوة قاله يحيي بن ادم وعن ابن عطا جعلتك ذكرا
من ذكري فمن ذكرك ذكرني وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكري معك
وعن جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
قال البيضاوي واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة
وجعل طاعته طاعته انتهي يشير الي قوله تعالي من يطع الرسول فقد
اطاع الله والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا
الله ورسوله واطيعوا الله والرسول وقول قتادة رفع الله
ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهي فهو مذكور معه
في الشهادة والتشهد ومقرون ذكره بذكره في القران والخطب والاذان
ويوذن باسمه في موقف القيامة واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة
يرفعه لما نزل ادم عليه السلام بالهند استوحش فنزل جبريل عليه السلام
فنادي بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين
اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب اسمه الشريف
علي العرش وعلي كل سما وعلي الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج
البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بي الي السما ما مررت بسما الا وجدت
اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة
شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله واخرج

الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام
لا اله الا الله محمد رسول الله وعزاه الحافظ ابن رجب في كتاب احكام الخواتيم له وقال
انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان

وشق له من اسمه ليجله ۞ فذو العرش محمود وهذا محمد

وسماه من اسمايه من اسمايه الحسنى نحو سبعين اسما كما ثبت ذلك في اسمايه
صلوات الله وسلامه عليه ۞ وصلى عليه في ملايكته وامر المومنين بالصلاة
عليه فقال تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملا الاعلا بانه يثني عليه
عند الملا المقربين وان الملايكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي بالصلاة
والتسليم عليه فيجتمع الثنا عليه من اهل العالمين العلوي والسفلي جميعا
وكتبه نبيا وادم بين الروح والجسد وختم به النبوة والرسالة واعلن
بذكره الكريم في الاولين والاخرين ونوه بقدره الرفيع حين اخذ العهد على
والميثاق على جميع النبيين **وجعل** ذكره في اوايل الرسايل وفواتحها وخواتمها
وشرف به المصاحف على المنابر وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر **ونشر**
ذكره في الافاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف
الاقلام والعرش والكرسي وساير الملايكة المقربين من الكروبيين والروحانيين
والعلويين والسفليين وجعله في قلوب المومنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح
ارواحهم وربما تميل من طرب سماع اسمه اشباحهم

۞ واذا ذكرتموا اميل كانني ۞ من طيب ذكركموا سقيت الراحا ۞

كانه تعالى يقول املا الوجود كله من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون
سنتك ۞ بل ما من فريضة من فرايض الصلاة الا ومعها سنة فهم متمسكون في الفريضة
بامري وفي السنة بامرك وجعلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك فالقرا يحفظون الفاظ
منشورك والمفسرون يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون بليغ وعظك
والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون من ورا الباب عليك ويمسحون وجوههم
بتراب حضرتك روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق الى يوم الدين ابد الابدين
والحمد لله رب العالمين وقال تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى **اعلم** ان
للمفسرين في طه قولين احدهما انها من حروف التهجي والثاني انها كلمة مفيدة وعلى القول
الاول فقيل معناها يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة **وقيل**
الطا في الحساب بتسعة والها خمسة فالجملة اربعة عشر ومعناه يا ايها البدر

ومن هذه الاقوال لا يجب ان يعتمد عليها اذ هي كما قاله المحققون من بدع التفسير
ومثلها قول الواسطي فيما حكاه القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر يا هادي
واما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان احدهما ان معناه يا رجل وهو
مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة
قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية
وقال عكرمة بلسان الحبشة **وقال** البيضاوي ان صح ان معناه يا رجل فلعل
اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار وقيل معناه يا انسان
وقرى طه باسكان الها على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه
فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان
يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته ها كما قالوا هياك في اياك
وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل من وطي على ترك الهمزة فيكون اصله طا
يا رجل ثم اثبتت الها فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طاها طا ها
والالف مبدلة من الهمزة والها كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبهما على
صورة الحرف **واما** قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكروا في سبب
نزولها اقوالا احدها ان ابا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين ابايك فقال صلى
الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين وانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم
وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقران هو السلم الى نيل
كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما هم فيه الكفرة هو
الشقاوة بعينها **وثانيها** انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت
قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه
عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت
الا بالحنيفية السمحا وروي انه اذا قام من الليل ربط صدره بحبل
حتى لا ينام وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بانه
بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيا من ذلك فلابد وان يكون
قد فعله بامر الله تعالى واذا فعله بامره فهو من باب السعادة لا من باب
الشقا **وثالثها** قال بعضهم يحتمل ان المراد لا تشق نفسك وتعذبها
بالاسف على كفرهم فانما انزلنا عليك القران لتذكر به من امن منهم فمن
امن واصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ وهذا

كقوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ولا يحزنك كفرهم
ورابعها ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله
عليه وسلم مقهورا مع اعدايه فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة
بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك القران لتبقى شقيا بل تصير
معظما مكرما زاده الله تعالى تعظيما وتشريفا وتكريما وقال تعالى انا اعطيناك
الكوثر السورة **قال** الامام فخر الدين ابن الخطيب في هذه السورة
كثير من الفوايد احدها انها كالمتممة لما قبلها من السور وذلك لان الله تعالى
جعل سورة والضحى في مدح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله
فذكر في اولها ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك ربك وما قلى
وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها
كذلك باحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما
فاوى ووجدك ضالا ~~فهدى~~ اي عن علم ~~الحكم~~ والاحكام فهدى ووجدك عايلا
فاغنى **ثم ذكر** في سورة الم نشرح انه تعالى شرفه عليه السلام بثلاثة
اشيا وهي الم نشرح لك صدرك اي الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة
الخلق ووضعنا عنك وزرك اي عناك الثقيل الذي انقض ظهرك ورفعنا
لك ذكرك وهكذا سورة سورة حتى قال انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك
هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها
واذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم ان
الاشتغال بالعبادة اما ان تكون بالنفس وهو قوله فصل لربك واما
بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ
الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطا حصل في الزمان
الماضي **قال** عليه السلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد ولا شك
ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعي الجانب اشرف ممن سيصير
كذلك كانه تعالى يقول يا محمد قد هيانا اسباب سعادتك قبل دخولك
في هذا الوجود فكيف نهمل امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا ايها
العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العميم لاجل طاعتك وانما اخترناك
لمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب **واختلف** المفسرون
في تفسير الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض
عند السلف والخلف فروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

بينا انا

بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت
ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك
اذفر رواه البخاري **وقيل** الكوثر الاولاد لان هذه السورة انما نزلت
ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى
انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت
ثم العالم ممتلي منهم ولم يتفق ذلك لنبي من الانبيا غيره **واما** الكوثر
الخير الكثير وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علما امته وقيل
الاسلام ولا ريب انهما من الخير الكثير فالعلما ورثة الانبيا كما رواه
احمد وابو داود والترمذي **واما** علما امتي كانبيا بني اسرايل فقال
الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له نعم
روى ابو نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه
اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع
والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها
ان العلم هو الخير الكثير والثاني اما ان تحمل الكوثر على نعم الاخرة او على نعم الدنيا



والاول غير جايز لانه قال انا اعطيناك الكوثر والجنة سيعطيها لا انه
اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة
اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث انه لما قال
انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشي الذي يتقدم على العبادة
هو المعرفة ولان الفا في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس
الا العلم **وقيل** الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم الله تعالى على نبيه
صلى الله عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي
فوجب حملها على الكل ولذا روي ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس
قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة
من الخير الذي اعطاه الله اياه قال الامام فخر الدين ابن الخطيب قال بعض العلما
ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر
فيجب ان يكون الاقرب حمله على ما اتاه الله من النبوة والقران والذكر العظيم
والنصر على الاعدا واما الحوض وساير ما اعد له من الثواب فهو وان جاز ان
يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة
ما قدمناه لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال في الحقيقة انه اعطاه الكوثر

في حال نزول هذه السورة بمكة واحتمال ان يجاب عنه بان من اقر لولده الصغير
بشي له يصح ان يقال اعطاه ذلك الشي مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف
انتهى وقد روينا في صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحكك
اضحك الله سنك يا رسول الله **قال** نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن
الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال
اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي
عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم
السما فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدثوا
بعدك وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر
هنا الحوض فالمصير اليه اولى وهذا هو المشهور كما تقدم فسبحان من اعطاه هذه
الفضايل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه بما افاضه عليه من نعمه
الجسيمة وقد جرت عادة الله مع انبيايه عليهم السلام ان يناديهم باسمايهم الاعلام
نحو يا ادم اسكن يا نوح اهبط يا موسى اني انا الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانبا والارسال
فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول ولله در القايل

فدعا جميع الرسل كلا باسمه ۔ ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على احد ان السيد اذا دعا عبيده
بافضل ما وجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية ودعا اخرين
باسمايهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق
ان منزلة من دعاه بافضل الاسما والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه
باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف ان من دعي بافضل اوصافه واخلاقه كان
ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى وانظر ما في نحو قوله تعالى واذ قال
ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالى واضافته اليه صلى
الله عليه وسلم وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما
في ذلك من الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم
والقسم الاوفر من الجملة المخبر لها اذ هو في الحقيقة اعظم خلفايه الاثرى
الى عموم رسالته ودعايه وجعله افضل انبيايه امهم ليلة اسرايه وجعل
ادم فمن دونه يوم القيامة تحت لوايه ۔ فهو المقدم في ارضه وسمايه وفي

داري

داري تكليفه وجزايه **وبالجملة** فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح
بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبته ورفعة ذكره ما يقضي بانه
استولى على اقصى درجات التكريم ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة
من قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم ذكره على
الانبيا تعظيما له مع تاخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ۔ واخباره بتمني اهل النار طاعته
في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول ۔ وهذا نحو لا ينفد وقطر لا يعد **النوع الثاني** في اخذ
الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه
قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الاية اخبر الله
تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن ادم عليه السلام الى محمد صلى الله
عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاووس وقتادة وقيل
معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن
ذكر اممهم **وعن** علي بن ابي طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ
عليه الميثاق لين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليومنن به ولينصرنه
وما قاله قتادة والحسن وطاووس لا يضاد ما قاله علي وابن عباس
ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الانبيا عليهم السلام
كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم
ان يومنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق منهم
يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبيا
عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون
مكلفا فتعين ان يكون الميثاق ماخوذا على الامم ۔ قالوا ويوكد هذا انه
تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا
الوصف لا يليق بالانبيا وانما يليق بالامم **واجيب** بان يكون المراد
من الاية بان الانبيا لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم ونظيره قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى
انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض
وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم

لقطعنا منه الوتين وقال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وبامرهم
يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا
نزلت هذه الاية على ان الله تعالى اوجب على جميع الانبيا ان يومنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم لو كانوا في الاحيا وانهم لو تركوا ذلك لصاروا في
زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا
على اممهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبيا اقوى في
تحصيل المقصود **قال** السبكي في هذه الاية انه عليه السلام على تقدير
مجيئهم في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع
الخلق من زمن ادم الى يوم القيامة وتكون الانبيا واممهم كلهم من امته
ويكون قوله عليه السلام وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه
الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ له المواثيق على الانبيا
ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في
معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه
لطيفة وهي كانها ايمان البيعة التي تؤخذ للخلفا ولعل ايمان الخلفا
اخذت من هاهنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم
من ربه تعالى فاذا عرفت هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا
ولهذا ظهر ذلك في الاخرة جميع الانبيا تحت لوايه وفي الدنيا كذلك ليلة
الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيه في زمن ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى
وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق
عليهم فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف
على اجتماعهم معه فتاخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم
بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية
الفاعل فهنا لا يتوقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه
وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في
عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه السلام في اخر
الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه
ياتي واحدا من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا
من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد

صلى

صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكل ما فيهما من امر ونهي فهو متعلق
به كما يتعلق بسائر هذه الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شي
وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او في زمان موسى وابراهيم
ونوح وادم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي صلى الله
عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل
واعظم ومتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شر[يعته]
صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على
سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل
تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى
اوليك الامم مما جاءت به انبياوهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هذه
الامة الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات ولهذا
بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم
بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه في زمانه الى يوم القيامة فبان انه جميع
الناس اولهم واخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين
الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زايد على ذلك وانما يفترق
الحال بين ما بعد وجود جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين
وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة
اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعلق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب
المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فهنا التعلق انما هو
بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد
الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته
اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة
وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك
لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى

النوع الثالث

في وصفه تعالى له عليه السلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله تعالى
حكاية عن ابراهيم واسماعيل عند بنا البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا
مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم

فاستجاب الله دعاءهما وبعث في اهل مكة منهم رسولا بهم الصفة من ولد
اسماعيل الذي دعا مع ابيه عليهما السلام بهذا الدعا **فان قلت** من اين
علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم **فالجواب** من وجوه
احدها اجماع المفسرين وهو حجة **الثاني** قوله عليه السلام انا دعوة ابي
ابراهيم وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه الاية وبشارة عيسى هي
ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد
الثالث ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعا لمكة لذريته الذين كانوا بها وبما
حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد امتن
الله تعالى على المومنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد من الله
على المومنين اذ بعث فيهم رسولا منهم من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة الاية فليس لله منة على المومنين اعظم من رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله
اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت لها مصالح الدنيا والاخرة
وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني انه بشر
مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي **وقرئ** في الشواذ انفسهم بفتح الفا يعني من
اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب والعرب
افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المومنين عام وهو معناه خاص في العرب
لانه ليس حي من احيا العرب الا وقد ولده وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون
به اكثر فالمنة عليهم اعظم **فان قلت** هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم
بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او هو من فروض الكفاية اجاب الشيخ ولي
الدين ابن العراقي بانه شرط في صحة الايمان قال فلو قال شخص اومن برسالة
محمد الى جميع الخلق ولكني لا ادري هل هو من البشر او من الملائكة او الجن او لا ادري
هل هو من العرب او العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقران وجحده ما تلقته
قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام
ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده
بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى **فان قلت** هل هو عليه السلام باق على رسالته
الى الان **اجاب** ابو المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام الان
في حكم الرسالة وحكم الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان
من احكام النكاح انتهى وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه

السلام

السلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمومن بعد موته لان المتصف بالنبوة
والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى تعقيب
بان الانبيا احيا في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري
كلام الله تعالى لمن اصطفاه ارسلتك او بلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام
قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال نومه والى الابد رسولا لبقا الكلام وقدمه
واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى ونقل السبكي في طبقاته
عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام حي في قبره رسول الله ابد الاباد على الحقيقة
لا المجاز انتهى قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين والمراد
بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا
كتاب لهم وليس عندهم شي من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم
بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة
من ضل قبلهم من الامم وفي كونه عليه السلام منهم فايدتان احدهما ان هذا الرسول
كان ايضا اميا كامة المبعوث اليهم لم يقرا كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال
تعالى ولا خرج عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا
بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى كمل الاربعين من عمره ثم جا بعد هذا ذلك بهذا
الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين العظيم الذي اعترف حذاق
اهل الارض ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم
على صدقه عليه السلام **الفايدة الثانية** التنبيه على ان المبعوث
منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه
وامانته وعفته وانه نشا بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف
كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل
ولذلك سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه
من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك ويروى ان
رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف
من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس وعن مقاتل
كان الحارث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا
خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب **وروي** ان المشركين كانوا
اذا راوه عليه السلام قالوا انه لنبي وعن علي قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم

انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جيت به فانزل الله الاية والمعنى انهم ينكرونه
مع العلم بصحته اذ الجحد لغة الانكار مع العلم **فان قلت** فالجمع بين
هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك اجيب بانه على طريق الجحد
وهو مختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله
فحيث علم امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا كابي جهل فيكون المراد
بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم فحينئذ لا تعارض
وروي ان ابا جهل لقيه عليه السلام فصافحه فقيل له اتصافحه فقال
والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية
رواه ابن ابي حاتم والقران كله مملوا بالايات الدالة على صدق هذا الرسول
الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق بكمال الله تعالى ان يقر من يكذب
عليه اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك
ويؤيده ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر
على يديه من الايات والبراهين والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر
وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته
سبحانه على كل شيء وقدرته على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس يابى ذلك
كل الاباء ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان عرف
منه بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشيئة والقران كله مملوء من هذه
الطريق وهي طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله
على افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القران
رايته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع من الله
تعالى قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين افتراه سبحانه
وتعالى يخبر ان كماله وحكمته وقدرته تابى ان يقر من تقول عليه بعض
الاقاويل بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته
في المتقولين عليه وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا
الله يختم على قلبك ههنا انتهى جواب الشرط ثم اخبرت خبرا جازما
غير متعلق انه يمح الباطل ويحق الحق وقال تعالى وما قدروا الله حق
قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه الارسال
والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما ينبغي فكيف

من

من ظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه الايات
والادلة وهذا في القران كثير يستدل تعالى بكماله المقدس واوصافه وجلاله
على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعوا عباده الى ذلك وقال
تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله
اولئك هم الخاسرون فاخبر سبحانه ان الكتاب الذي انزله يكفي من كل
اية ففيه الحجة والدلالة على انه من الله وان الله سبحانه ارسل به رسوله
وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب ثم قال تعالى قل
كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما
بجميع الاشياء كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم تام
محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته وملكه
عند مجازاته وحكمته عند خلقه وامره ورحمته عند ارسال رسله وحلمه
عند ذنوب عباده فتامل وروده اسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق
والامر والثواب والعقاب **وقال** تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي شاهدا على الوحدانية
وشاهدا في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار والصراط والميزان وشاهدا
في الاخرة باحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد وشاهدا
على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كانه تعالى
يقول يا ايها المشرف من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا
كمال فردانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم مخالفة امرنا وتعلمهم
مواضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا يستضيئون بك
وشمسا ينبسط شعاعك على جميع من صدقك وامن بك ولا يصل الينا
الا من تبعك وخدمك وقدمك فبشر بفضلنا وطولنا عظيم عليهم
واحساننا اليهم **ولما** كان الله تعالى قد جعله عليه السلام شاهدا على
الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسالة
الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية
اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى
نفسه شاهدا له في مجازاته كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يشهد

انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل
كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ومن عنده علم الكتاب فاستشهد على رسالته
بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد
بيني وبينكم وقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملايكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا وقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله محمد رسول الله
فهذا كله منه شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها
غاية البيان بحيث قطع العذر بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم
بكونه سبحانه وتعالى شاهدا لرسوله وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا فيظهر ظهورين
ظهور بالحجة والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتاييد حتى يظهر على مخالفيه
ويكون منصورا **ومن شهادته** تعالى ايضا ما اودعه في قلوب عباده من
التصديق الجازم واليقين الثابت والطمانينة بكلامه ووحيه فان الله تعالى
فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمانينة والسكون اليه ومحبته
وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون اليه
ولو بقيت الفطر على حالها لما اثرت على الحق سواه ولما سكنت الا اليه ولا اطمانت
الا به ولا احبت غيره • ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القران فان كل من تدبره
اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق واصدق كل
صدق قال تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال
عن القلوب لباشرتها حقايق القران واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت
علما ضروريا كسايرا الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به
حقا وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد
في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين **وقال** تعالى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ففي هذه الاية دلالة على انه صلى الله
عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين وقالت العيسوية من اليهود وهم
اتباع عيسى الاصفهاني ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى
بني اسرايل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الاية لان قوله تعالى يا ايها الناس
خطاب يتناول كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه
مبعوثا الى جميع الناس ايضا فلانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى
الثقلين فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك فان كان رسولا حقا

امتنع

امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه فلما ثبت بالتواتر
وبظاهر هذه الاية انه كان يدعي كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه
صادقا وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني
اسرايل واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا • من الناس من قال انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك
اما الاولون فقالوا دخله التخصيص من وجهين الاول انه رسول الى الناس اذا
كانوا من جملة المكلفين فاما اذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم
وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النايم
حتى يستيقظ وعن المغمى عليه حتى يفيق والثاني انه رسول الله الى كل من وصله
خبر وجوده وخبر معجزاته وشرايعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته
حتى لو قدرنا حصول قوم في طرف من اطراف الارض لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته
وشرايعه فلا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته **وعن** ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني
ومات لم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم ومفهومه
ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور على ما
تقرر في الاصول انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل
كلها برسالته صلى الله عليه وسلم **وقال** تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
على فترة من الرسل الاية خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود والنصارى بانه قد
ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب
لجميعهم ولذا قال تعالى على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة ما بين رسالة
وعيسى بن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال النهدي
وقتادة في رواية عنه ستماية سنة وقال الضحاك اربعماية و رواه البخاري
عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسماية وستون سنة وقال الضحاك اربعماية
وبضع وثلاثون سنة وعن الشعبي فيما ذكره ابن عساكر تسعماية وثلاثة وثلثون
سنة **قال** الحافظ عماد الدين بن كثير والمشهور انها ستماية سنة وكانت هي
الفترة بين عيسى بن مريم اخر انبيا بني اسرايل وبين محمد اخر النبيين من بني ادم
على الاطلاق كما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا انا اولى الناس بابن مريم لانه
ليس بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد
كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا على فترة من الرسل وطموس

من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان فكانت
النعمة به اتم واعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا ان الله نظر الى اهل الارض
فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرايل وفي لفظ مسلم من اهل الكتاب فكان
الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به
الخلايق واخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضا والشريعة
الغرا صلوات الله وسلامه عليه **وقال** تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم اي عزيز عليه عنتم اي اثمكم بالشرك
والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا
الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا انه لم يخاطبنا الا بما يريد ابلاغه الينا
وفهمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا والى هذا اشار صاحب البردة
بقوله لم يمتحنا بما تعيا العقول به • حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم •
اي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا كان كثيرا ما
يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذه سنة القران ومن تتبع الكتاب
والسنة راى العجب العجاب ولما ساوي سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله
عليه السلام على اسلامهم حض المومنين برافته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم
ولم يقل من ارواحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده منا بجسده المنفس لا بروحه المقدس

ويرحم الله القايل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به • تبلد ذهني هيبة لمقامه •
فاقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا • هوى فيه احلى من لذيذ منامه •
اذا قال فيه الله جل جلاله • روف رحيم في سياق كلامه •
فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز • بمختلفيه نثره ونظامه •

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكر الاية ثم وصفه بعد باوصاف
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة
ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو وان كان المقصد
منه صحيحا ففي ظاهره شي لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق
المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تاوله بعض العلما الذي هو الحرص فيكون مخفوضا
به ومما يقوي هذا التوهم قوة اعطا الكلام ان الضمير الاول من قوله وعزته عليه
عايد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عايد على الله تعالى فلا يبقى للشدة الا ان

يكون

يكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تاوله بعض العلما على
حذف مضاف اي وكراهة شدة ما يعنتهم او نحو ذلك من المضافات والاولى
والصواب ان شا الله ان تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص
ويكون قوله وعزته معطوف على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو
ما في قوله مما يعنتهم والها الثانية في عليه عايد على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون رحمة مفعولا له اي
لاجل الرحمة ويجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على
حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم قاله السمين وقال ابو بكر بن طاهر فيما ذكره
القاضي عياض زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة
وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي في الدارين
من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر
لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد اخر من كذبه الى الموت او القيامة
واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية وللمنافق رحمة بالامان
من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب فانه عليه السلام كما قيل رحمة تعم
المومن والكافر كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه
السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة
وقال بعض العارفين الانبيا خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم
عين الرحمة ولقد احسن القايل حيث قال •

غنيمة عمر الكون لمحة عيشه • سرور حياة الروح فايق الدهر •
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي • تجلى لها الرحمن في السر والجهر •

فبيانه ونصحه رحمة ودعاوه واستغفاره رحمة فرزق ذلك من قبله
وحرمه من رده **فان قلت** كيف كان رحمة وقد جا بالسيف واستباحة
الاموال **فالجواب** من وجهين احدهما انه انما جا بالسيف لمن استكبر
وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو
منتقم من العصاة وقد قال تعالى وانزلنا من السما ما مباركا ثم قد يكون
سببا للفساد **وثانيهما** ان كل نبي من الانبيا قبل نبينا اذا كذبه قومه
اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد اخر الله تعالى عذاب من
كذب نبينا الى الموت او الى القيامة لانه تعالى قال وما كان الله ليعذبهم الله

بايديكم وقال ليعذب المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه
وفي الشفا للقاضي عياض وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
لثنا الله علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين انتهى وهذا
يقتضي ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور
خلافا لمن زعم ان جبريل افضل واستدل بان الله تعالى وصف جبريل بسبعة
اوصاف من صفات الكمال في قوله تعالى وانه لقول رسول كريم ذي
قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم
بقوله وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل
في صفات الفضل او مقاربا له لكان وصف محمدا بمثل ذلك واجيب
بانا متفقون على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخرى سوى ما ذكر في هذه
الاية وعدم ذكر الله تعالى لتلك الفضايل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع واذا
ثبت ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخر زايدة فيكون افضل من جبريل
وبالجملة فافراد احد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفا تلك الاوصاف
عن الثاني واذا ثبت بالدليل القراني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين
والملايكة من جملة العالمين وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم وقال تعالى
ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فهذه الاية
نص في انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام
الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس كما قدمناه لك
في اسمايه الشريفة من المقصد الثاني وبذلك وردت الاحاديث عنه صلى
الله عليه وسلم فروى احمد من حديث ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها وترك فيها موضع
لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون
لو تم موضع هذه اللبنة فانا في النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذي
عن بندار عن ابي عامر العقدي وقال حديث حسن صحيح وفي حديث انس بن مالك
مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي
وغيره وفي حديث جابر مرفوعا مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاكملها
واحسنها الا موضع لبنة وكان من دخلها فنظر اليها قال ما احسنها الا موضع
هذه اللبنة فانا موضع اللبنة ختم الله بي الانبيا عليهم السلام رواه ابو داود

الطيالسي وكذا البخاري ومسلم وفي حديث ابي سعيد الخدري فجيت انا فاتممت
تلك اللبنة رواه مسلم وفي حديث ابي هريرة عند مسلم وارسلت الى الخلق كافة
وختم بي النبيون فمن تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ختم الانبيا
والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد اخبر الله في كتابه ورسوله في السنة
المتواترة عنه انه لا نبي بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب
افاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ واتى بانواع السحر والطلاسم
والنيرنجات فكلها محال وضلالة عند اولي الالباب ولا يقدح في هذا نزول
عيسى عليه السلام بعده لانه اذا نزل كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم
ومنهاجه مع ان المراد انه اخر من نبي قال ابو حيان ومن ذهب الى ان النبوة
مكتسبة لا تنقطع او الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله والله
اعلم

النوع الرابع

في التنويه به صلى الله عليه وسلم في الكتب
السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل قال الله تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من اعظم
المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب
والبهتان من اعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان
حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم عليه السلام هذا دل على ان
ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من اعظم الدلايل على
صحة نبوته لكن اهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون
الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم
كما عرفوا ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل لكنهم حرفوها
وبدلوها ليطفيوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
فدلايل نبوة نبينا في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة واعلام شرايعه ورسالته
فيهما لايحة وكيف يغني عنهم انكارهم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم
بالسريانية مشفحا فمشفح محمد بغير شك واعتباره انهم يقولون شفحا
لاها اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد لله شفحا فمحمد مشفح
ولان الصفات التي فيها هي وفاق احواله وزمانه ومخرجه ومبعثه
وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات له ومن
خرت له الامم بين يديه وانقادت له واستجابت بدعوته ومن صا

الجمل الذي هلكت بابل واصنامهم به لولم تات لهن الانبا والقصص من
كتبهم الم يكن فيما اودع الله عز وجل القران دليل على ذلك وفي تركهم جحده لك
وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويقول حكاية عن المسيح
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من
بعدي اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق
وانتم تعلمون ويقول الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم
وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد اظل مولده ويذكرون
من صفته ما يجدونه في كتابهم فلما جاهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا
على الرياسة وتحمل الضم كانوا يظنون انه من بني اسرائيل فلما بعثه الله
من العرب من نسل اسماعيل عظم ذلك عليهم واظهروا التكذيب فلعنة الله على
الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فكيف
يجوز ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في ايديهم ويقول من
علامة نبوتي وصدقي انكم تجدوني عندكم مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكروا وليس
ذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان غنيا ان يدعوهم مما ينفرهم ويستميلهم
بما يوحشهم وكم اسلم من اسلم من علمايهم كعبد الله ابن سلام وتميم الداري
وكعب وقد وقفوا منه على مثل هذه الدعاوي **وقد روى** ابن عساكر
في تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله ابن سلام عن جده عبد الله
ابن سلام انه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك
بالله الذي انزل التوراة هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب ربك يا محمد فارتج
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله
مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيية
مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى نستقيم به الملة المعوجة
حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب

لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم لان النفي محمول على طبعه الكريم
الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة او النفي بالنسبة الى المومنين والامر
بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الاية وقلوبا غلفا اي مغشاة
مغطاة واحدها اغلف ومنه غلاف السيف وغيره واخرج البيهقي
وابو نعيم عن ام الدردا امراة ابي الدردا قالت قلت لكعب كيف تجدون
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال كنا نجده موصوفا فيها
محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا صما ويقيم به
السنة معوجة حتى يشهدان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم
ويمنعه من ان يستضعف وفي البخاري عن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله
ابن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيية
السيية ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان
يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وعند
ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده
لكل جميل واهب كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه
والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به
بعد النكرة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب
مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
واخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم وقال والذي بعثك
بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول واخرج
ابن سعد قال لما امر ابراهيم باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بارض
عذبة سهلة الا قال انزل ههنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال انزل
يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من
ذريته ابنك الذي تتم به الكلمة العليا **وفي التوراة** مما اختاروه بعد

الحذف والتحريف والتبديل مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة في اعلام النبوة
تجلى الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل
الذي كلم الله فيه موسى وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه
نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني وليست الفه الاولى همزة وهي جبال بني هاشم
الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه فاتحة الوحي وهو
احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس والمقابل له قعيقعان الى بطن الوادي والثالث
الشرقي فاران ومنفجه الذي يلي قعيقعان الى بطن الوادي هو شعب بني هاشم
وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال قال ابن قتيبة وليس لهذا
غموض لان مجي الله من سينا انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سينا
ويجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن
من ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى
وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح فكذلك يجب ان يكون
استعلانه من جبال فاران بانزاله القران على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال
مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة وان ادعي
انها غير مكة قلنا اليس في التوراة ان الله اسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا
دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي انزل عليه كتابا
بعد المسيح وليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون
دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه وفي التوراة
ايضا مما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه
الذين اخذتهم الرجفة خصوصا ثم بني اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبيا من
اخوتك فاستمع له كالذي سالت ربك في حوريب يوم الاجتماع حين قلت
لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله لي نعم ما قالوا وساقيم
لهم نبيا مثلك من اخوتهم وساجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل شي امرته
وايما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه قال وفي هذا الكلام ثلاثة
ادلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه
من بني اسحاق واخوتهم بنو اسماعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحاق
لكان من انفسهم لا من اخوتهم واما قوله نبيا مثلك وقد قال في التوراة
لا يقوم في بني اسرائيل احد مثلك مثل موسى وفي ترجمة اخرى مثل موسى
لا يقوم في بني اسرائيل ابدا فذهبت اليهود الى ان هذا النبي الموعود به هو

يوشع

يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليهما السلام
بل كان خادما له في حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون المراد
محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفو موسى لانه مماثله في نصب الدعوة والتحدي
بالمعجزة وشرع الاحكام واجرا النسخ على الشرايع السالفة وقوله تعالى
اجعل كلامي في فمه فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان
معناه اوحي اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه ولا انزل صحفا ولا الواحا
لانه امي لا يحسن ان يقرا المكتوب وفي الانجيل مما ذكره ابن طغربك في الدر
المنظم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم الى الاب ان يعطيكم [illegible]
فارقليطا اخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقبلوه
وهو عند ابن ظفر بلفظ ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ابي
فيعطيكم بارقليط اخر يكون معكم الدهر كله قال فهذا تصريح بان الله تعالى
سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه
منابه وتكون شريعته باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى
ولم يذكر فصول الفارقليط كما افاده ابن طغربك سوى يوحنا دون غيره
من نقلة الاناجيل وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو
الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص
رسول ياتي لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر
ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جيت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح
هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي سال الاب ان يعطيهم
فارقليطا اخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط اول وحتى
ياتي فارقليط اخر وان تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب
الى احمد ومحمد من هذا قال ابن طغربك وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل
على ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه
ليس هو لي بل للاب الذي ارسلني بهذا الكلام لكم واما البارقليط روح
القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم كل شي وهو يذكركم كلما قلته
لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريح في ان الفارقليط رسول يرسله
الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من
الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم كلما قاله المسيح عليه السلام
لهم وكلما امرهم به من توحيد الله واما قوله ابي فهذه اللفظة مبدلة

محرفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب
سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم تخاطب بها المتعلم معلمه الذي
يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظما دينهم بالابا الروحانية
ولم تزل بنوا اسرايل وبنو عيصو يقولون نحن ابنا الله لسوء فهمهم عن الله تعالى
واما قوله يرسل الي باسمي فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم
له بالصدق والرسالة وما تضمنه القران من مدحه عما افتري في امره
وفي ترجمة اخرى للانجيل انه قال الفارقليط اذا جا وبخ العالم على الخطية
ولا يقول من تلقا نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث
وهو عند ابن طغربل بلفظ فاذا جا روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم
بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم
ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقا نفسه بل تتكلم بكل ما يسمع
اي من الله الذي ارسله وهذا كما قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى
الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبراه وبرا امه عليهما السلام مما
نسب اليهما وامر امته بذلك قال ابن طغربل فمن ذا الذي وبخ العلما على كتمان الحق
وتحريفهم الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن الذي انذر بالحوادث واخبر
بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در ابي محمد عبد الله الشقراطسي حيث قال
في قصيدته المشهورة

توراة موسى اتت عنه فصدقها ◦ انجيل عيسى بحق غير مفتعل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت ◦ عما راوا ورووا في الاعصر الاول

ويعجبني قول العارف الرباني ابي عبد الله ابن النعمان

هذا النبي محمد جات به ◦ توراة موسى للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق ◦ ذكرا لاحمد معرب ومذكر

ورحم الله ابن جابر حيث قال

لمبعثه في كل جيل علامة ◦ على ما جلته الكتب من امره الجلي
فجا به انجيل عيسى باخر ◦ كما قد مضت توراة موسى باول

وفي الدلايل للبيهقي عن الحاكم بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام
ابن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه
الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشي كهيئة

الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة
سودا فنشرها فاذا فيها صورة حمرا واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين
لم ار مثل طول عنقه واذا له ظفيرتان احسن ما خلق الله تعالى قال اتعرفون هذا
قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج حريرة سودا واذا فيها
صورة بيضا احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا
نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضا واذا
فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله
ويكينا قال والله انه قام قايما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر
اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لاخر البيوت ولكني عجلته لكم
لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صورة الانبيا ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان
وغيرهم قال فقلنا له من اين لك هذه الصور فقال ان ادم عليه السلام سال ربه
ان يريه الانبيا من ولده فانزل عليه صورهم فكان في خزانة ادم عليه السلام
عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال
وفي زبور داود عليه السلام في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك
من اجل هذا باركك الله الى الابد تقلد ايها الجبار السيف فان شرايعك وسننك



مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك المزمور
نبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي
يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تقلد سيفك
ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف امة من الامم سوى
العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفي قوله فان شرايعك وسننك نص صريح
انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق
بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرات
في بعض الكتب القديمة قال الله تعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب
نورا يملا ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا
اميا يومن به عدد نجوم السما ونبات الارض كلهم يومن بي ربا وبه رسولا
يكفرون بملل ابايهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست اسماوك
لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا
والاخرة واظهر دعوته على كل دعوة واذل من خالف شريعته بالعدل
ربيته وللقسط اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا

بابراهيم وختمها بمحمد فمن ادركه ولم يومن به ولم يدخل في شريعته فهو
من الله بري ذكره ابن ظفر وغيره **النوع الخامس** في ايات تتضمن اقسامه
تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما اوحى اليه من اياته وعلو رتبته الرفيعة
ومكانته وهذا النوع رحمك الله لخصت اكثره من كتاب اقسام القران للعلامة
ابن القيم مع زيادات من فرايد الفوايد **واعلم** انه تعالى اقسم بامور على امور
وانما اقسم بنفسه الموصوفة بصفاته واياته المستلزمة لذاته وصفاته
واقسامه ببعض مخلوقاته دليل على انه من عظيم اياته ثم انه تعالى تارة يذكر
جواب القسم وهو الغالب وتارة تحذفه وتارة يقسم على ان القران حق وتارة على ان
الرسول حق وتارة على الجزا والوعد والوعيد فالاول كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم والثاني كقوله تعالى يس والقران
الحكيم انك لمن المرسلين والثالث كقوله والذاريات ذروا الى قوله ان الدين لواقع
وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق ثبت ان القران حق
وثبت المعاد ومتى ثبت ان القران حق ثبت صدق الرسول الذي جا به ومتى
ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جا به وفي هذا النوع
خمسة فصول **الفصل الاول** في قسمه تعالى على ما خصه به
من الخلق العظيم وحباه من الفضل العميم **قال** الله تعالى ن والقلم وما
يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم ن من اسما الحروف
كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هي اسما للقران وقيل اسما للسور وقيل اسما
لله ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل
ولعله اراد يا منزلها وقيل انه سر استاثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفا
الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين
الله ورسوله لم يقصد بها فهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وهل
المراد بقوله تعالى هنا نون اسم الحوت وهل المراد به الجنس والبهموت وهو الذي
عليه الارض وقيل المراد به الدواة وهو مروي عن ابن عباس ويكون هذا
قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم
تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل ان نون لوح من نور تكتب فيه
الملايكة ما يامرهم به رواه معاوية بن مرة مرفوعا والحق انه اسم للسورة اقسم
تعالى بالكتاب والته وهو القلم الذي هو احدى اياته واول مخلوقاته الذي جرى
به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبت به الشريعة وحفظت

به

به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش واقام في الناس ابلغ خطيب
وافصحه • وانفعه لهم وانصحه • وواعظا تشفى مواعظه القلوب من السقم
وطبيبا يبري باذن باريه من انواع الالم على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود
في كل افعاله واقواله مما غمضته اعداوه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالى
ما انت بنعمة ربك بمجنون • وكيف يرمى بالجنون من اتى بما عجزت العقلا قاطبة
عن معارضته وكلت عن مماثلته • وعرفهم من الحق ما لا تهتدي اليه عقولهم بحيث
اذعنت له عقول العقلا وخضعت له الباب الالبا وتلاشت في جنب ما جا به
بحيث لم يسعها الا التسليم له والانقياد والاذعان طايعة مختارة فهو الذي
كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي ثم اخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى
الله عليه وسلم في دنياه واخرته فقال وانك لعلى خلق عظيم اي ثواب غير
منقطع بل هو دايم مستمر ونكر الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما لا يدركه الوصف
ولا يناله التعبير • ثم اثنى عليه بما منحه فقال وانك لعلى خلق عظيم وهذه
من اعظم اياته ونبوته ورسالته ولقد سيلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه
صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران ومن ثم قال ابن عباس وغيره
اي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة
وارادات زاكية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة واقوال
مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكسب
النفس بها اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها وهذه كانت اخلاقه
صلى الله عليه وسلم المقتبسة من القران فكان كلامه مطابقا للقران تفصيلا
وتبيينا وعلومه علوم القران وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القران
واعراضه وتركه لما منع منه القران ورغبته فيما رغب فيه وزهده
فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما احبه وسعيه في تنفيذ
اوامره فترجمت ام المومنين لكمال معرفتها بالقران وبالرسول وحسن
تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القران وفهم السايل عنها هذا المعنى
فاكتفى به واشتفى ولما وصفه تعالى بانه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون
بايكم المفتون اي فسترى يا محمد وسيرى المشركون كيف عاقبة امرك
فانك تصير معظما في القلوب ويصيرون اذلا مغلوبين وتستولي عليهم
بالقتل والنهب **الفصل الثاني** في قسمه تعالى على ما انعم
به عليه • واظهره من قدره العلي لديه قال الله تعالى والضحى والليل

اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى السورة اقسم الله تعالى على انعامه على رسوله
صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطايه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه
له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزايه في الاخرة فهو قسم على النبوة والمعاد
واقسم تعالى بايتين عظيمتين من اياته دالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته
ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه
صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه وتامل مطابقة
هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور
الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال اعداوه ودع محمدا ربه فاقسم
بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه
وايضا فان الذي اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل
هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي
بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط
المقسم به بالمقسم عليه وتامل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الالفاظ والجلالة
التي على معانيها ونفى سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه فالتوديع الترك
والقلا البغض اي ما تركك منذ اعتني بك ولا ابغضك منذ احبك وحذف الكاف
من قلى اكتفا بكاف ودعك ولان روس الايات باليا فاوجب اتفاق الفواصل حذفها
وهذا يعم كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها هي خير له مما قبلها كما ان الدار الاخرة
هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره
وهو انه يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القران والهدى والنصر والظفر
باعدايه يوم بدر وفتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على بني قريظة
والنظير وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين
في اقطار الارض من المداين وما قذف في قلوب اعدايه من الرعب ونشر الدعوة
ورفع ذكره واعلا كلمته وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة
من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة
والكوثر وقال ابن عباس يعطيه الف قصر من لولو ابيض ترابها المسك وفيها
ما يليق بها وبالجملة فقد دلت هذه الاية على انه تعالى يعطيه عليه السلام كل ما
يرضيه • واما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى واحد من امته في النار
او لا يرضى ان يدخل احد من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم
فانه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو

سبحانه

سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سياتي ان شا الله تعالى في المقصد
الاخير ورسوله عليه السلام اعرف به وبحقه من ان يقول لا ارضى ان تدخل
احدا من امتي النار او تدعه فيها بل ربه تعالى ياذن له فيشفع فيمن شا الله تعالى
ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه • ثم ذكر سبحانه بنعمه
عليه من ايوايه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيما فاوى وذهب بعضهم الى ان
معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة يعني الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير
فاواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث
بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر السايل وان يكتم النعمة
بل يحدث بها فان من شكر النعمة الحديث بها • وقيل المراد بالنعمة النبوة
والتحدث بها تبليغها

الفصل الثالث

في قسمه تعالى
على تصديقه عليه السلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن
الهوى في خطابه قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما
غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراءته
مما نسبه اليه اعداوه من الضلال والغي واختلف المفسرون في المراد
بالنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره وتكون ال للتعريف العهدي في
قول وللتعريف الجنسي في اخر وهي النجوم التي يهتدى بها فقيل الثريا اذا
سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة
وعطية والعرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا وعن ابن عباس في
رواية عكرمة النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في اثارها عند
استراق السمع وهذا قول الحسن وعن السدي الزهرة وعن الحسن النجوم اذا
سقطت يوم القيامة وقيل المراد به النبات الذي لا ساق له وهوى اي سقط
على الارض • وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس لانه نزل نجوما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك • وقال جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل
من السما ليلة المعراج واظهر الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم التي
ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة
التي نصبها الله تعالى اية وحفظا للوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى به
رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد حرس بالنجم اذا

هوي رصدا بين يدي الوحي وحرساله وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به
والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين
تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوي ولا تسمية نزوله هويا ولا
عهد في القران بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا
القسم بالثريا وحدها اذا غابت وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند
انتثارها يوم القيامة بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه باياته
فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكروا البعث
فانه سبحانه انما يستدل لهم بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه ثم انه بين المقسم به
والمقسم عليه ما لا يخفى فان قلنا ان المراد النجوم التي هي للاهتدا فالمناسبة
ظاهرة وان قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر النجوم عند الرائي لانه لا يشتبه بغيره
في السما بل هو ظاهر لكل احد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الايات
البينات ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق جاز ادراك الثمار واذا ظهرت
من المغرب قرب اواخر الخريف فتقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر
قل الشرك والامراض القلبية وان قلنا ان المراد بها القران فهو استدلال
بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراته وانه ما ضل ولا غوي وان قلنا
ان المراد النبات فالنبات به ثبات القوي الجسمانية وصلاحها والقوي
العقلية اولى بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل وتامل كيف قال
تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه
صاحبهم وهو اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه
بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى
على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن هوي فقال تعالى وما ينطق عن الهوي ان
هو الا وحي يوحي ولم يقل وما ينطق بالهوي لان نفي نطقه عن الهوي ابلغ فانه
يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوي واذا لم يصدر عن هوي فكيف ينطق
به فيتضمن نفي الامرين نفي الهوي عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه
فنطقه بالحق ومصدره الهدي والرشاد لا الغي والضلال ثم قال ان هو
الا وحي يوحي فاعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا
وحي يوحي وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القران فان نطقه بالقران
والسنة وان كلاهما وحي يوحي قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة

وهما

وهما القران والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقران يعلمه اياها
ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقران بما يعلم انه مضاد لاوصاف
الشيطان معلم الضلال والغواية فقال علمه شديد القوي وهو جبريل اي قواه
العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال
علمه جبريل ولم يصفه لم تحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة
وهذا نظير قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش كما سياتي البحث فيه ان شا الله
تعالى ثم اخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فواده لما راته عيناه وان القلب
صدق العين وليس يكن راي شيا على خلاف ما هو به تكذب فواده بصره
بل ما راه ببصره صدقه الفواد وعلم انه كذلك وفي حديث قصة الاسرا
مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم اي لا اقسم اذ الامر اوضح من
ان يحتاج الى قسم او اقسم ولا مزيدة للتاكيد وهذا قول اكثر المفسرين
بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الزمخشري والوجه ان يقال
هي للنفي اي انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له فكانه بادخال حرف النفي يقول ان
اعظامي باقسامي به كلا اعظام يعني انه مستاهل فوق ذلك اقسم سبحانه وتعالى
بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها وبانصرام الليل
واقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره
وحالة قوة هذا وتنفسه واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب
الليل وادبر بين يديه وذلك من اياته ودلايل ربوبيته ان القران قول رسول
كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به واما
الرسول الكريم في الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم فاضافه الى الرسول
الملكي تارة والى البشري اخري واضافته اليهما اضافة تبليغ لا اضافة
انشا من عنده ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ
كلام من ارسله فهذا صريح في انه كلام من ارسل جبريل ومحمدا صلى الله عليهما
وسلم فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل وقد وصف
الله تعالى رسوله الملكي في هذه السورة بانه كريم يعطي افضل العطايا
وهي العلم والمعرفة والهداية والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذو قوة
كما قال في النجم علمه شديد القوي فيمنع بقوته الشياطين ان تدنوا منه

وان يزيد وافيها وينقصوا منه وروي انه رفع قريات قوم لوط الاربع على
على قوادم جناحه حتى سمع اهل السما نباح كلابها واصوات بنيها عند ذي العرش
مكين اي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم مطاع
في ملائكة الله المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الي رايه امين على وحي الله
ورسالاته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمسة صفات تتضمن تزكية
سند القران وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب
العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم
نزه رسوله البشري وزكاه مما يقول فيه اعداوه فقال وما صاحبكم
بمجنون وهذا امر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون
انهم كاذبون ثم اخبر عن رويته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام
وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا للقوم
فحقيقته عندهم انه خيال موجود في الاذهان لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه
جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقرير روية النبي
صلى الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقرير رويته لربه تبارك وتعالى فان
رويته عليه السلام لجبريل هي اصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن
انكرها كفر قطعا واما رويته لربه تعالى فغايتها ان تكون مسلة نزاع
لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بانه لم يره فنحن الى تقرير
رويته لجبريل احوج منا الى تقرير رويته لربه تعالى وان كانت روية الرب سبحانه
اعظم من روية جبريل فان النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة ثم نزه رسوله
كلاهما احدهما بطريق النطق والثاني بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان
الذي هو الضنة والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب
بضنين فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بامرين اداوها من غير كتمان واداوها على
وجهها من غير زيادة ولا نقصان والقراتان كالايتين فتضمنت احداهما وهي قراة الضاد
تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن بوزن بخلت ابخل ومعناه وقال
ابن عباس ليس ببخيل بما انزل الله وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم واجمع المفسرون
على ان الغيب ههنا القران والوحي قال الفرا يقول تعالى ياتيه غيب من السما
وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا معنى حسن جدا فان عادة النفوس
الشح بالشي النفيس ولا سيما عمن لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم
لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو انفس شي واجله وقال ابو علي الفارسي المعنى ياتيه الغيب

فيبينه

فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى
ياخذ عليه حلوانا يخبر به ولا يخاف ان ينتقض ويظهر الامر بخلاف ما اخبر به
كما يقع للكهان وغيرهم ممن يخبر بالغيب فان كذبهم اضعاف صدقهم واذا
اخبر احدهم بخبر لم يكن على ثقة منه بل هو خائف من ظهور كذبه فاقدام الرسول
على الاخبار بهذا الغيب العظيم واثقا به مقيما عليه مبديا له في جميع كل مجمع ومعيدا
به واما قراة من قرا بظنين بالظا فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا
بمعنى اتهمته وليس هو من الظن الذي هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدى
الى مفعولين والمعنى وما هذا الرسول على القران بمتهم بل هو امين فيه لا يزيد
فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على ان الضمير فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم
لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون
ثم قال وما هو اي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل فنفى سبحانه عن رسوله صلى الله عليه
وسلم ذلك كله وزكى سند القران اعظم تزكية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم

اقسم تعالى بالاشيا كلها ما تبصرون منها وما لا تبصرونه وهذا اعم قسم وقع في القران
فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والاخرة وما يرى وما لا يرى
ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسي وكل مخلوق وذلك كله
من ايات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى اية
ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وان ما جا به هو من عند الله تعالى
وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وانه حق ثابت كما ان
سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السما والارض
انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكانه سبحانه وتعالى يقول انه اي القران حق كما ان
ما تشاهدونه من الخلق وما لا تشاهدونه حق موجود ويكفي الانسان مع جميع
ما يبصره وما لا يبصره نفسه ومبدا خلقه ونشاته وما يشاهد من احواله
ظاهرا وباطنا ففي ذلك ابين دلالة على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق
ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط
بشاشة الايمان قلبه ثم اقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله
وانه لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو تقول عليه وافترى لما اقره ولعاجله
بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته تابى ان يقر من تقول عليه وافترى
عليه واضل عباده واستباح دما من كذبه وحريمهم واموالهم فكيف

يليق باحكم الحاكمين واقدر القادرين ان يقر على ذلك ام كيف يليق به ان يويده
وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم ويسفك دماهم ويستبيح اموالهم
واولادهم ونساهم قايلا ان الله امرني بذلك واباحه لي بل كيف يليق به ان
يصدقه بانواع التصديق كلها فيصدقه باقواله وبالايات المستلزمة
لصدقه ثم تصدقه بانواعها كلها على اختلافها فكل اية على انفرادها
مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقواله
وفعله وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز على
احكم الحاكمين ان يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه
وسلم كما قدمته لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه شاعر ولا
كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة

ومن ذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون **قيل** المراد بالكتاب
المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملايكة
وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مطهرة بايدي سفرة كرام بررة **قال**
مالك احسن ما سمعت في هذه انها مثل الذي في عبس قال ومن المفسرين
من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه الا طاهر والاول ارجح لان الاية سيقت
تنزيها للقران ان تتنزل به الشياطين وان محله لا تصل اليه كما قال تعالى
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وايضا فان قوله
لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل
الاية على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر
والنهي حمل كل منهما على حقيقته وليس هاهنا موجب يوجب صرف الكلام عن
الخبر الى النهي انتهى ملخصا وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك جماعة منهم داود
بانه يجوز مس المصحف للمحدث وقد اجاب ابن الرفعة في الكفاية عن دليلهم المزخرف
فقال ما نصه القران لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو اقرب المذكورين
ولا يتوجه النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن ان
يكون المراد بالمطهرين الملايكة لانه قد نفى واثبت فكانه اثبت قال لا يمسه
المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسما ليس فيها غير مطهر بالاجماع فعلم
انه اراد المطهرين من المطهرين الادميين ويبين ذلك ما روي انه عليه
السلام قال في كتاب عمرو بن حزام المروي في الدارقطني وغيره ولا تمس القران

الا

الاوانت على طهر ثم قال فان قيل قد قال الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان
اللوح المحفوظ وان المطهرين الملايكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله
لا يمسه بضم السين ليس بنهي عن المراد ولو كان نهيا لم يكن مفتوحا لكان بفتح
السين فهو اذن خبر قلنا اما قول المفسرين فهو معارض بقول الباقين
والمرجع الى الدليل واما كون المراد بالاية الخبر فجوابه انا نقول اللفظ لفظ
الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القران قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها
والمطلقات يتربصن انتهى واجاب العلامة البساطي في شرحه لمختصر
الشيخ خليل بان يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضم كما صرح به جماعة وقالوا
انه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى وقد ذكر
هذا العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف الحلبي المشهور بالسمين مع زيادة
ايضاح وفوايد فقال في لا هذه وجهان الثاني انها ناهية والفعل بعدها
مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم تمسسهم سوء
ولكنه ادغم حرك اخره بالضمة لاجل ها ضمير المذكر الغايب ولم يحفظ سيبويه
في نحو هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان
القياس جواز فتحه تخفيفا قال وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من
رد بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم
ما قبل الها في هذا النحو لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره

الفصل الرابع في قسمه تعالى قال سبحانه وتعالى يس والقران الحكيم انك
لمن المرسلين الاية اعلم ان كل سورة بدا الله تعالى فيها بحروف التهجي كان في
اوايلها الذكر او الكتاب او القران الا نون تحرا في هذه الحروف في اوايل
السور امورا تدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا
ان كشف الله له سر ذلك **واختلف** المفسرون في معنى يس على اقوال
احدها انه يا انسان بلغة طي وهذا قول الحسن وابن عباس وعكرمة والضحاك
وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة وقيل بلغة كلب وحكى الكلبي انها بالسريانية
قال الامام فخر الدين وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف
الصدر منه واخذ العجز وقال يا سين وعلى هذا فيكون الخطاب مع محمد
صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين وتعقبه ابو حيان
بان الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بيا بعدها الف فدل على
ان اصله انيسان لان التصغير يرد الاشيا الى اصولها ولا يعلم انهم قالوا

في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم
لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير وتمتنع ذلك في حق النبوة
انتهى قال السمين وهذا الاعتراض الاخير صحيح فقد نصوا على ان التصغير لا
يدخل في الاسما المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر
من مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة ها قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قايله
انتهى وقيل معنى ياسين يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل قاله
ابو العالية وقيل هو اسم من اسما القران قاله قتادة وعن ابي بكر الوراق يا سيد
البشر وعن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم اقسم الله
به وهو من اسمايه وعن كعب اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي
عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين وهو
رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فاقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين
لوحيه الى عباده وعلى طريق مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا
عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في
كتابه الا له صلى الله عليه وسلم **الفصل الخامس في قسمه تعالى بمدة حياته**
صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يفتح لكثرة الاستعمال فاذا اقسموا قالوا
لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتدا والخبر محذوف
والمعنى قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل
نحو تالله لافعلن والمعنى احلف بالله فيحذف احلف لعلم المخاطب بانك حالف
قال الزجاجي من قال لعمر الله كانه حلف ببقا الله ومن ثم قالت المالكية
والحنفية ينعقد بها اليمين لان بقا الله من صفات ذاته وعن مالك لا يعجبني
الحلف بذلك وقال الشافعي واسحاق لا يكون يمينا الا بالنية وعن احمد
كالمذهبين والراجح عنه كالشافعي واختلف فيمن المخاطب في الاية على قولين
احدهما ان الملايكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه وقال هولا بناتي
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون
الى نصيحتك والثاني ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى
اقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال ابن عباس
ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما

سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
يقول وحياتك وعمرك وبقايك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن
جرير ومراده بقوله وما سمعت الله المتلو في الكتب المنزلة ورواه
البغوي في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته وما اقسم
بحياة احد غيره وذلك يدل على انه اكرم خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه
تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط قال القرطبي
واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان
نحلف بحياته وقد قال الامام احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم
ينعقد به يمينه وتجب الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم
احد ركني الشهادة قال ابن خويز منداد واستدل من جوز الحلف به
عليه الصلاة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه وسلم ان
يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة اذا جا صاحبه وقال احلف لي
بحق ما حواه صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد الاية اقسم تعالى بالبلد الامين
وهو مكة ام القرى بلده عليه الصلاة والسلام وقيده بحلوله عليه السلام فيه
اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله قاله البيضاوي
ثم اقسم بالوالد وما ولد وهو فيما قيل ابراهيم واسماعيل وما ولده محمد صلى
الله عليه وسلم وعلى هذا فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقيل المراد ادم
وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم تعالى بهم لانه اعجب خلق
الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق واستخراج العلوم وفيهم الانبيا
والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم وعلى
هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد
الى ادم قوله وانت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن اقسامه تعالى ببلده
المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله
بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه
الى خلقه وقيل المعنى وانت مستحل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي
يامن فيه الطير والوحش وقد استحل فيه قومك حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل
ابن سعد وعن قتادة وانت حل لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من
شئت وذلك ان الله تعالى يفتح عليك مكة واهلها وما فتحت على احد قبله

فاحل ما شا وحرم ما شا فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وعنم
وحرم دار ابي سفيان **فان قلت** هذه السورة مكية وانت حل لهذا البلد
اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت في اخر من هجرته الى المدينة فكيف الجمع
بين الامرين **اجيب** بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل
كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اقسم بحياتك دون ساير
الانبيا ولقد بلغ من فضيلتك عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم
بهذا البلد **وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر** اختلف
في تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل
فيه السرا والضرا والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر الذي بمضيه
ينقضي عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران ولله در القايل

انا لنفرح بالايام نقطعها ... وكل يوم مضى نقص من الاجل

وفي تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي وغيرهما انه قسم بزمان الرسول
صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازي واحتجوا له بقوله صلى الله عليه وسلم
انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استاجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر
الى الظهر بقيراط فعملت اليهود فقال من يعمل لي من العصر الى المغرب
بقيراطين فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل
اجرا فقال الله تعالى وهل نقصت من اجركم شيا قالوا لا قال فذلك فضلي
اوتيه من اشا فكنتم اقل عملا واكثر اجرا رواه البخاري قالوا فهذا الحديث
دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه فيكون على هذا قسم الله تعالى
بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك
كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال وجه
القسم كانه قال تعالى قال ما اعظم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهى **النوع
السادس في وصفه تعالى له عليه السلام بالنور والسراج المنير** اعلم
ان الله تعالى قد وصف رسوله عليه الصلاة والسلام بالنور في قوله تعالى قد
جاكم من الله نور وكتاب مبين وقيل المراد القران ووصفه عليه السلام ايضا

بالسراج

بالسراج المنير في قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا المراد كونه هاديا مبينا كالسراج
يري الطريق ويبين الهدى والرشاد فبيانه اقوى واتم وانفع من نور
الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه القدسية اعظم في النورانية
من الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من
غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لساير
الانفس البشرية وكذلك وصف الله تعالى الشمس بانها سراج حيث قال
وجعل الشمس وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف الله تعالى
رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات
والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة
والجمال والكمال وهو الذي اشرق على العوالم الروحانية وهم الملايكة
فصارت سرجا منيرة يستمدون منه ولهذا يجود الله ثم سري النور
الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم فليس
في الوجود الا نور الله الساري الى الشي منه بقدر قبوله وسعة استعداده
وحسب تلقيه والنور في الاصل كيفية يدركها الباصرة اولا وبواسطتها
ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام
الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله الا بتقدير
مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او بمعنى منور السموات والارض
فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار وبالملايكة والانبيا
من قولهم للرييس الفايق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور
ويويد هذا التاويل قراة علي بن ابي طالب وزيد بن علي وغيرهما نور فعلا
ماضيا والارض بالنصب وقوله مثل نوره مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف
النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى
تضي له السموات والارض واما الارادة اهل السما والارض وانهم يستضيون
به **وعن مقاتل** اي مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة
نظير صدر عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم
والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد **وعن** غيره المشكاة نظير
ابراهيم والزجاجة نظير اسماعيل عليهما السلام والمصباح جسد محمد
صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة وعن ابي سعيد الخراز المشكاة

جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل
الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم كعب بن جبير النور الثاني
هنا محمد صلى الله عليه وسلم سهل بن عبد الله مثل نور محمد اذ
كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا واراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة
المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء تكاد نبوة محمد تبين للناس
قبل كلامه حكا هذا القول الاخير القاضي ابو الفضل اليحصبي والفخر
الرازي لكنه عن كعب الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل
الوحي عبد الله ابن رواحه

لو لم يكن فيه ايات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية
ولقد انزلنا اليك ايات مبينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل
هداه كان ذلك مطابقا لما قبله

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال
تعالى واطيعوا الرسول لعلكم تفلحون ترحمون وقال تعالى قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين قال القاضي عياض فجعل
طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك واوعد
على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
يعني من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق احكام الله فهو في الحقيقة
ما اطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك
عليهم حفيظا فان من اعماه الله من الرشد واضله عن الطريق فان احدا من الخلق
لا يقدر على ارشاده وهذه الاية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع
الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شيء منها لم تكن طاعته
طاعة الله وايضا وجب ان يكون معصوما في جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته
في قوله واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت ان الانقياد
له في جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة له وانقياد لحكم الله تعالى
تعالى ومن يطع الرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين الاية وهذا عام في المطيعين لله من اصحاب

الرسول

الرسول ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار وان كانت فيها معية
الابدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الاية ان ثوبان مولى رسول الله
كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما
وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم اراك اشتقتك
واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة فحينئذ لا اراك هناك
لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين واني ان لم ادخل الجنة
فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق
قال اصحاب محمد يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت
فوقنا ولم نرك فانزل الله تعالى الاية وذكر عن عكرمة مرسلا قال اتى فتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة
لا نراك لانك في الجنة في الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة وذكروا ايضا فيها روايات اخرى تاتي ان
شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام لكن قال المحققون لا ينكر صحة
هذه الروايات الا ان نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك
وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح
في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله
واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عند الله تعالى
ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكفي الاكتفاء بالطاعة
الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك
المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره وان يحمل الطاعة على فعل المامورات
وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الفساق
والكفار لانهم قد ياتون بالطاعة الواحدة قال الرازي قد ثبت في اصول الفقه
ان الحكم المذكور عقب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف
واذا ثبت هذا فنقول قوله من يطع الله اي في كونه الها وطاعة الله في
كونه الها هي معرفته والاقرار بجلاله وعزته وكبريائه وصمديته فصارت
هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد فالاول ان منشا جميع
السعادات يوم القيامة اشراق الروح بانوار معرفة الله تعالى فكل من كانت
هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان الى السعادة اقرب والى الفوز

بالنجاة اوصل والثاني ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة وعد اهل الطاعة بالاجر
العظيم والثواب الجزيل ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين وليس المراد
ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة
واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز
فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من روية الاخر وان بعد المكان
لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الروية والتلاقي قدروا
على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال المرء مع من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا
ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما
هي بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه
صلى الله عليه وسلم ومن اقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد
الله بن ابي من ابعد الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد
بقلبه امرا من طاعة او معصية او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته
معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي
الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم **وقال تعالى**
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الاية الشريفة
تسمى اية المحبة **قال** بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله اية المحبة قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها
وفايدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفايدتها وثمرتها محبة المرسل
لكم فما لم تحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه
اتباع رسوله عليه السلام مشروطا لمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود
المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفا المحبة عند انتفا المتابعة
فانتفا محبتهم لله لازم لانتفا المتابعة لرسوله وانتفا المتابعة ملزوم لانتفا
محبة الله لهم فيستحيل حينيذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون
المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله
ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما فلا يكون شي احب اليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شي احب
اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله
الله تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم

واموال

واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم
الفاسقين فكل من قدم طاعة احد من هولاء على طاعة الله ورسوله او قول احد
منهم على قول الله ورسوله او مرضاة احد منهم على مرضاة الله ورسوله او خوف
احد منهم ورجاه والتوكل عليه على خوف الله ورجايه والتوكل عليه
او معاملة احد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وان قاله بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس عليه هو انتهى
ملخصا من كتاب المدارج وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في مقصد محبته
عليه السلام **وقال تعالى** فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الصراط المستقيم فجعل رجا الاهتدا
اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه
بالتزام شرعه فهو في الضلالة فكل ما اتى به الرسول عليه السلام يجب علينا
الا ما خصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني
القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا
يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا اي ومن لم يومن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين
سعيرا **وقال تعالى** فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية
معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد لمعنى القسم
كما في لئلا يعلم ولا يومنون جواب اقسم الله بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يومن
احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به
وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم بما يوافق هواه او يخالفه كما ورد
في الحديث والذي نفسي بيده لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جيت به وهذا
يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا وعلى انه
لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب وذلك بان تحصل الجزم واليقين
في القلب بان الذي يحكم به عليه السلام هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد
باطنا وظاهرا وسياتي مزيد بيان لذلك ان شا الله تعالى في مقصد محبته
عليه الصلاة والسلام ثم ان ظاهر هذه الاية تدل على انه لا يجوز تخصيص
النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه وانه لا يجوز
العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت

مستشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك
يحصل الحرج في النفس وبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعدان لا يلتفت الى ذلك الحرج
ويسلم الى النص تسليما كليا **النوع الثامن فيما يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم**
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم
بين يديه بامر ولا نهي ولا اذن ولا تصرف حتى يامر هو وينهى وياذن كما امر الله
تعالى بذلك في هذه الاية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته
بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي عقل عليم
قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه
الله على لسانه وقال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال غيره لا تامروا حتى يامر ولا تنهوا حتى ينهى وانظر ادب الصديق رضي
الله عنه معه عليه السلام في الصلاة ان تقدم بين يديه كيف تاخر وقال
ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه كيف اورثه
مقامه والامامة بعده فكان ذلك التاخير الى خلفه وقد اوما اليه ان اثبت
مكانك سعيا الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق
المطي **ومن الادب معه** صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق
صوته كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال الرازي افاد انه ينبغي ان لا يتكلم
المومن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل
في قوله تعالى كجهر بعضكم لانه للعموم فلا ينبغي ان المومن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر
العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض **قال** ويويد ما ذكرناه
قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه
حتى لو كانا في مخمصة ووجد العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده
ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان
يلقي نفسه في التهلكة لانجا سيده ويجب لانجا النبي صلى الله عليه وسلم فكما ان العضو
الرئيس اولى بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين
استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا
بخلاف العبد والسيد انتهى ورفع الاصوات فوق صوته موجب لحبوط الاعمال
فما الظن برفع الاراء ونتايج الافكار على سنته وما جاء به واعلم ان في الرفع والجهر
استخفافا قد يودي الى الكفر المحبط وذلك ان انضم اليه قصد الاهانة وعدم

المبالاة



المبالاة وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول
الله لا اكلمك الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان
يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه **وقد روي** ان ابا جعفر
امير المومنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا امير المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون
اصواتهم الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان
حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر **ومن الادب معه** صلى الله عليه
وسلم ان لا يجعل دعاوه كدعاء بعضنا بعضا قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين احدهما انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو
بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى هذا
المصدر مضاف الى المفعول اي دعاكم الرسول **والثاني** ان المعنى لا تجعلوا دعاه
لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء اجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم
بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة
بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل اي دعاوه اياكم وقد تقدم
في الخصايص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى
الله عليه وسلم **ومن الادب معه** صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امر جامع
من خطبة او رباط او جهاد لم يذهب احد منهم مذهبا في حاجة له حتى يستاذنه كما
قال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا
حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيدا بحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه
فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه دقيقه وجليله هل
يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه فاسيلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله بل تستشكل الاراء
لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف
كلامه عن حقيقته لخيال يخالف يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن
الصواب معزول ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة
الادب معه وهو عين الجراة **وراس الادب معه** صلى الله عليه وسلم كمال التسليم
له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة
خيال باطل يسميه معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم عليه اراء الرجال

وزيالات اذ هانهم فيوخذ التحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وجد
المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة
للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم
الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج والقران مملو بالايات
المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فلتراجع **النوع التاسع في
ايات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه
وسلم ترفيعا لشانه** قال تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون لما قال المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اجاب
تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الاحباب فان الحبيب اذا
سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه جوابه فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم
بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى له اتم من نصرته لنفسه وارفع
لمنزلته ورده ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده فاقسم الله تعالى بما
اقسم به من عظيم اياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته اعداؤه
الكفرة به وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداؤه المكذبون
له انهم المفتونون هو وهم وقد علموا هم والعقلاء ذلك ويزداد علمهم به في
البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الاخرة بحيث يتساوى الخلق كلهم في
العلم به **ولما** راى العاصي بن وايل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد
وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش
جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من ذا الذي كنت تتحدث معه قال
ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم من خديجة فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان
شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير **ولما** قالوا افترى
على الله كذبا قال الله تعالى بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال
البعيد **ولما** قالوا لست مرسلا اجاب الله تعالى عنه فقال يس والقران
الحكيم انك لمن المرسلين **ولما** قالوا اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون رد
الله تعالى عليهم فقال بل جا بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد
خصمائه فقال انكم لذايقوا العذاب الاليم **وقالوا** ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون رد الله تعالى عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ان هو الا ذكر وقران مبين **ولما** حكى الله تعالى عنهم قولهم ان هذا الا افك

افتراه

٢٧

افتراه واعانه عليه قوم اخرون سماهم كاذبين بقوله فقد جاوا ظلما
وزورا وقال قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولما تلي عليهم نبا
الاولين قال النضر بن الحارث لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين
قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولما قالوا ان هذا الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر قال الله تعالى
ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له عليه السلام
ولما قالوا ما بال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فقال تعالى وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
ولما حسدته اعدا الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا ما همته الا
النكاح رد الله تعالى عليهم بقوله عن رسوله وكافح عنه فقال ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم
ملكا عظيما ولما استبعدوا ان يبعث رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه
الله تعالى عنهم وما منع الناس ان يومنوا اذ جاهم الهدى الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان التخالف
يورث التنافر قال الله تعالى قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا اي لو كانوا ملايكة لوجب ان يكون
رسولهم من الملايكة لكن لما كان اهل الارض من البشر وجب ان يكون
رسولهم من البشر فما اجل هذه الكرامة وقد كانت الانبيا انما يدفعون
عن انفسهم ويردون على اعدايهم كقول نوح عليه السلام يا قوم ليس بي ضلالة
وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك **النوع العاشر في ازالة
الشبهات عن ايات وردت في حقه عليه السلام** مشكلات
قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اعلم انه قد اتفق العلما على انه صلى الله
عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جايز عقلا على الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جايز عقلا لما فيه من
التنفير وعند اصحابنا انه جايز في العقول ثم يكرم الله من اراده بالنبوة
الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجايز لم يقع قال الله تعالى ما ضل صاحبكم
وما غوى قاله الامام فخر الدين وقال الامام ابو الفضل اليحصبي في الشفا
والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبيا

بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان
بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة ولم ينقل احد
من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل
ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك بما قررناه
ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه
على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها
سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا
عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا
او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه
عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا
وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة
وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح مما يجب لك ان تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد في بعضها
خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري
ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا
يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من
الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور
الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة
بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا ~~عند بعضهم~~ في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغاير
لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة
والاباحة والحظر والمعصية انتهى **واختلف** في تفسير هذه الاية على وجوه
كثيرة احدها اي وجدك ضالا عن معالم النبوة وعن هو مروي عن ابن عباس
والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان اي ما كنت قبل الوحي ان تقرأ القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان
قاله السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام
فقد كان عليه السلام قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها
قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شاء الله تعالى
الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين

انه قال عليه السلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني
فهداني الله **الثالث** يقال ضل الماء في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا
بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه **الرابع** ان العرب تسمي الشجرة
الفريدة في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها
شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة
في مفازة الجهل **الخامس** قد يخاطب السيد والمراد قومه اي وجد قومك
ضالين فهداهم بك وبشرعك **السادس** اي محبا للمعرفة وهو مروي
عن ابن عطاء والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك
القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال
بسبب الهيبة فهداه الله تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك **الثامن**
اي وجدك بين اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم
التاسع اي وجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا
اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد **العاشر** عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال
ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني
وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام
من قريش كان يرعى باعلا مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر
الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ثم قلت ليلة
اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدهما
بسوء حتى اكرمني الله برسالته **واما** قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
المجوزين للصغاير على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وبظواهر كثيرة
من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم قال القاضي عياض
الى تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل
ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك
فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة
على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى وقد اختلف

في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع
له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقذاره وقيل المراد منه تخفيف اعباء
النبوة التي تثقل الظهر القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة
على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها بان يسرها عليه
حتى تيسرت له وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل
عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله تعالى وقال له اتبع ملة
ابراهيم • وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي انقض ظهرك لو كان ذلك
الذنب حاصلا فسمى العصمة ذنبا وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه
السلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه
فما ايقظه الا حر الشمس من الغد وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب
شريعتك حتى شرعنا لك ذلك وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا
لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه قال القاضي فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها
قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه فامنه الله تعالى من عذابهم
في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة في الاجل
واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس
اي انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم اراد غفران
ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك • وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة
وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك
ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وقيل
المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين ونحو ترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان في
اباحة الفعل وقال السبكي قد تاملتها يعني الاية مع ما قبلها وما بعدها
فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم
من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان يستوعب في الاية جميع انواع
النعم من الله تعالى على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية شيئان
سلبية وهي غفران الذنوب وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها بقوله

ويتم

ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية اشار اليها بقوله ويهديك
صراطا مستقيما ودنيوية وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم
بذلك تعظيم امر النبي صلى الله عليه وسلم وقدره باتمام انواع نعم الله تعالى
عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه
باسناده اليه بنون العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك
وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال وانما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم يكن
ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه
صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله من قليل
او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف حتى اعماله في الخلوة
والسر يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن تامل احوال
الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك
انتهى واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية
انه صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال
المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت ولا
يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين
والمنافقين حاشاه الله تعالى من ذلكم وانما امره الله تعالى بتقوى توجب استدامة
الحضور واجاب بعضهم عن هذا ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد
علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه السلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه
تركا للافضل فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد وقيل المراد دم على التقوى
فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك وللساكت قد اصبت
فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه وقيل الخطاب مع النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد امته ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا
ولم يقل بما تعمل واما قوله تعالى فلا تطع المكذبين فاعلم انه تعالى لما ذكر ما
الكفار في امره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما انعم
به عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه
ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار
فان هذه السورة من اوائل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤساء
الكفار من اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله

تعالى تنسخ تنبيه للتشديد في مخالفتهم واما قوله تعالى فان كنت
في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الاية
فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب به النبي
صلى الله عليه وسلم وقال اخرون المخاطب غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا
على وجوه الاول ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد غيره
كقوله تعالى اذا طلقتم النساء وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى
ابن مريم عليهما السلام اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك الامير
جمع فاذا اراد ان يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه
الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى تاثيرا في قلوبهم الثاني قال الفرا علم الله
تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما يقول الرجل لولده
ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني الثالث انه يقال للضيق
الصدر شاك يقولان ضقت صدرا بما تعالى من تعنتهم واذاهم فاصبر
واسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبيا على اذى قومهم
وكيف كان عاقبة امرهم من النصر فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في
الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيه او لتهييج الرسول عليه السلام
وزيادة تثبيته او يكون على سبيل الفرض والتقدير لامكان وقوع الشك
له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية والله لا اشك ولا اسئل
واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقريره
ان الناس كانوا في زمانه عليه السلام فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون
له والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب
فقال فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فسئل اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهذا
مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ويا ايها الانسان انك
كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه
فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان
يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بايات
الله فتكون من الخاسرين واما قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم لا يعلمون ذلك

او

او يكون المراد قل لمن افترى يا محمد لا تكونن من الممترين وانه صلى الله عليه وسلم
يخاطب به غيره وقيل غير ذلك واما قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
فلا تكونن من الجاهلين فقال القاضي عياض لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن
ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من
صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبيا والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا
في امورهم بسمات الجاهلين وليس في الاية دليل على كونه على تلك الصفة
التي نهاه عن الكون عليها فامره صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض
قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر
حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه السلام اي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه ابو بكر مكي قال ومثله في القران كثير وكذلك قوله تعالى
وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا وقوله
ان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد
غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
والله تعالى ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية وما طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين واما قوله تعالى
وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون
وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك
قط فلم تعلمها الا بوحينا واما قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله الاية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه
غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه
ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى امره ويكون
سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة
عليه وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا
في اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله هو الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله تعالى له او ببرهان يظهر
لديه كما قدمته في المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته واما قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من نبي ولا رسول
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاحسن ما قيل فيها ما عليه

جمهور المفسرين ان التمني المراد به هنا التلاوة والقا الشيطان فيها اشغاله بخواطر
واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل
غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسو التاويل ما يزيله الله وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم اياته قاله القاضي عياض وقد تقدم في المقصد الاولى
مزيد لذلك **قال** في الشفا واما قوله عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل
ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان
اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان
في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بصلاة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا
واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها
على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث
زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله قال
واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس فيها اثبات
ذنب له عليه السلام بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدي له ممن لا
يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين لاختار
الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك
الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له
لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال
الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك
باس في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم
بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ • وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب
والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك
الكفار وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام
بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه السلام ايذا له عليه السلام وذلك معصية
عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله
الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين وقد كان عليه السلام •
مادونا له في تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه استحق مزيد
الرفق **واما قوله تعالى** عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية فروى ابن ابي حاتم
عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدا بالعفو قبل

المعاتبة وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون
ثم انزل التي في سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم ان شا فقال
تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر
الى رايه عليه السلام **وقال** عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله
عليه وسلم لم يومر فيهما بشي اذنه للمنافقين واخذه الفدا من الاسرى فعاتبه
الله كما تسمعون واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل على انه وقع من الرسول
ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة ذنب وقال
لم اذنت لهم بمعنى الاستفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا
الله عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى
في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك
ما صنعت في امري ورضي عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي
فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا
بمعنى عفو بل كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحو ذلك للقشيري قال وانما يقول
العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك
اي لم يلزمك ذنبا واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون صدر
من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير
ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب
وحاشا الله من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد
حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير
يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا
جواب شاف كاف قاطع وعلى هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى
والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال
نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه
من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم **واما قوله تعالى** في اسارى بدر ما كان
لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد
الاخرة الى قوله عظيم فروى مسلم من افراده من حديث عمر بن الخطاب
قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون

استشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا رسول
الله هولا بنوا العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان تاخذ منهم الفدية
فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا
لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب
قال قلت والله ما ارى ما راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب
لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة
من فلان اخيه يضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا موادة
للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو
ما قلت فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني
ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد تباكيت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من الفدا لقد عرض علي
عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان تكون له
اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى
يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الزاد ذنب للنبي
صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين ساير الانبيا عليهم
السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك قال عليه السلام احلت لي الغنايم ولم
تحل لنبي قبلي **واما قوله** تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد
ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها قد نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب
احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينبغي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل
لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنايم **وقيل** لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم
وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا **وقيل** بل كان عليه السلام قد خير في ذلك
وقد روي عن علي قال جا جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم بدر

يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاوا القتل وان شاوا الفدا
على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا شا وهذا دليل على
انهم لم يفعلوا ذلك الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم
ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
قال القاضي بكر بن العلا اخبر الله تعالى نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق
ما كتب له من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادا في سرية عبد الله
ابن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي الحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب
الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي
صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى اراد تعظيم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم واظهار نعمته وتاكيد منته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح
المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب او انكار او تذنيب قاله القاضي عياض
واما قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا
اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية فالمعنى لولا ان ثبتناك
لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان
تقرب فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل
هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر وقد اعاذه الله تعالى من الركون
الى الاعدا بذرة من قلبه ومما يعزى للحريري مما يويد ذلك قوله

انحوي هذا العصر ما هي لفظة ✽ جرت في لساني جرهم وثمود
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت ✽ وان اثبتت قامت مقام جحود

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو ذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا
والثاني وهو الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن قالوا وهو صلى الله
عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن **واما قوله تعالى** ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا بشي من عند
نفسه لاخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله من
التقول عليه **فان قلت** لا مرية انه يعني المحب ولصاحب المحاسن

والاحسان العظيم ما لا يحتمل لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر
• وإذا الحبيب أتى بذنب واحد • جاءت محاسنه بألف شفيع • حسبك
ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والا
الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الواردان وقع منه
ما يكره وكم من راكن الى اعدائه ومتقول عليه من قتل نفسه لم يعيا به حي
كارباب البدع ونحوهم فالجواب انه لانا في بين الامرين فان من كملت
عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به واعطاه منها ما لم يعط غيره
فحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت حاله من حفظ
مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان تراعي مرتبته من ادنى مشوش
وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه
على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه عليه اكمل فالمطلوب منه
فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل او اخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه
عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح به ذلك ايضا فيجتمع في حقه
الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك
فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويواخذهم
بما لم يواخذ به غيرهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من
الاخر واقرب الى قلبك واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان
بحسب قربه منك وحبك له وعزته فاذا نظرت الى كمال احسانك اليه واتمام
نعمك عليه اقتضت معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم
الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته
ونصحه وهبت له مساوئه وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان
بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل
حد من انعم عليه بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه
النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه واتم عليه نعمته
ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم تحصل له هذه
النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه •
• فلله سر تحت كل لطيفة • فاخو البصائر غائص متغلغل •
واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل معناه ما كنت
تدري الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القران وقال ابو العالية هو بمعنى

الدعوة الى الايمان لانه كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان بالله تعالى
وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه
الماوردي والواحدي والقشيري وقيل انه من باب حذف المضاف
اي ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي يومن ابو طالب او العباس او
غيرهما وقيل المراد به شرائع الايمان ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الصلاة
ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون
اللفظ عاما والمراد الخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر في
الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر
وروى ابو نعيم وابن عساكر قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت
وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا قال وما زلت اعرف
ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وقد
ورد ان العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسماعيل كحج البيت والختان
والغسل من الجنابة وكان عليه السلام لا يقرب الاوثان ويعيبها ولا
يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك قوله تعالى
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار
بالله لان اباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يومنون بالله ويحجون مع
شركهم انتهى والله اعلم

المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة الله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون
واليها شخص العاملون • والى علمها شمر السابقون • وعليها تفانى المحبون
وبروح نسيمها تروح العابدون • فهي قوت القلوب وغذاء الارواح
وقرة العيون • وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات
والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات • والشفاء الذي من عدمه
حلت بقلبه جميع الاسقام • واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه
كله هموم والام • وهي روح الايمان والاعمال • والمقامات والاحوال
التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه • تحمل اثقال السائرين

الى بلد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيه • وتوصلهم الى منازل لم يكونوا لولاها
ابدا واصليها وتبوهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاهي
داخليها وهي مطايا القوم التي سراهم في ظهورها دائما الى الحبيب • وطريقهم
الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الا الي من قريب • تالله لقد ذهب اهلها
بشرف الدنيا والاخرة اذ لهم من معية محبوبهم اوفر نصيب • وقد
قدر الله تعالى يوم قدر مقادير الخلايق بمشيته وحكمته البالغة ان المرء
مع من احب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم السعادة
وهم على ظهور الفرش نايمون • ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون
• من لي بمثل سيرك المذلل • تمشي رويدا وتجي في الاول •
اجابوا موذن الشوق اذ نادى لهم حي على الفلاح • وبذلوا انفسهم في طلب
الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح • وواصلوا اليه المسير
بالادلاج والغدو والرواح • ولقد حمدوا عند الوصول مسراهم وانما يحمد
القوم السري عند الصباح **وقد اختلفوا في المحبة** وعباراتهم وان كثرت
فليست في الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال • وانما هي اختلاف احوال واكثرها
يرجع الى ثمراتها دون حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة
عند اهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به
وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذا كقول صاحب مدارج السالكين تبعا لغيره
المحبة لا تحد بحد اوضح منها • فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء فحدها
وجودها ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها
وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم
دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب
الادراك والمقام والحال **وقد** وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى
غاية المناسبة الحا التي هي من اقصى الحلق والبا الشفهية التي هي نهايته فللحا
الابتدا وللبا الانتهاء وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها
منه وانتهاها واليه • واعطوا الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها
مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة
الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم والسنتهم فتامل
هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني يطلعك
على قدر هذه اللغة وان لها شانا ليس لسائر اللغات ومنه بعض رسوم وحدود

قلت

قلت في المحبة بحسب اثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام
منها ثم منها موافقة الحبيب • في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها
ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته وهذا من احكام الفنا
في المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا
من احكام الفنا في المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه
وذاته وهذا يستدعي بيانا اتم من هذا لا يدركه الا من فناه وارد المحبة
عنه واخذه منه **ومنها** استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل
من حبيبك وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها
والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا
منه ولو ناله من محبوبه ايسر شي لاستكثره واستعظمه **ومنها** استكثار
القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول
لكنه مخصوص بما هو من المحب **ومنها** معانقة الطاعة ومباينة المخالفة
وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها **ومنها** ان تهب
كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شي وهو لسيدنا ابي عبد الله القرشي وهو
ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزماتك و
وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا في مرضاته
ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذه منه له **ومنها**
ان تمحو من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت
في القلب بقية لغيره ومسكن فالمحبة مدخولة **ومنها** ان تغار على المحبوب
ان يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها
ان يكون مثلك يحبه **ومنها** غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة
وعن المحبوب هيبة وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر واما
الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل
ولكن عند استيلا سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامة المحبة
المقارنة للهيبة والتعظيم **ومنها** ميلك الى الشي بكليتك ثم ايثارك له
على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك
بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك
ومنها سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل
عند المشاهدة لا يوصف وانشد بعضهم • • •

فاسكر القوم دور الكاس بينهم • لكن سكري نشا من رؤية الساقي •
ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام اما سفر
القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه واما لهج اللسان بذكره فلا ريب ان من
احب شيا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة
والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو اكل طبع سليم
عن الميل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسته • او يكون
حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه
فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم
في الحلية وابو الشيخ وغيرهما • واذا كان الانسان يحب من منحه
في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة
او مضرة لا تدوم • فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول • ووقاه
من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول • واذا كان المرء يحب غيره
على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم
والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم • المانح لنا جوامع
المكارم والفضل العميم • فقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور
الايمان • وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان
فهو السبب لبقاء مهجتنا البقاء الابدي في النعيم السرمدي • فاي
احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا • فلا منة بعد الله
وحياته بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا • فكيف
ننهض ببعض شكره او نقوم من واجب حقه بمعشار عشره • فقد
منحنا الله به منح الدنيا والاخرة • واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة
فاستحق ان يكون حظه من محبتنا له اوفى وازكى من محبتنا لانفسنا
واولادنا • واهلينا واموالنا والناس اجمعين • بل لو كان في كل
منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه
لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة انه
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
والده وولده رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد
له والد من غير عكس وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد
وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب

عن

عن انس والناس اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل
من والده وولده وذكر الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال
الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي
فيه تلميح الى قضية النفس الامارة والمطمئنة فان من رجح جانب المطمئنة
كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه
بالعكس وفي كلام القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة
على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب المفهم بان ذلك ليس مرادا
هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان
اعظام شي مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك
الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري في
الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال
للنبي صلى الله عليه وسلم لانت يا رسول الله احب الي من كل شي الا نفسي
التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فهذه المحبة
ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك
قطعا وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى اكون
احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في
حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما توقف عمر في
اول مرة واستثناوه نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار
بتوسط الاسباب وانما اراد عليه السلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى
قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر اولا كان
بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم
احب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والاخرة
فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الان يا عمر
اي الان عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا صلى الله عليه
وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة انفسنا
واولادنا ووالدينا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها
على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها

وافراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده
ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده
احب اليه من ذلك كله والشي قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره
وليس شي يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى
والتاله هو المحبة والطاعة والخضوع ومن علامات الحب المذكور لرسوله
صلى الله عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه ان لو خير بين فقد غرض
من اغراضه وفقد روية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة فان
كان فقدها ان لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شي من اغراضه
فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا
قال القرطبي كل من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا تخلوا عن
وجدان شي من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من اخذ من
تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا
في الشهوات محجوبا في الغفلات في اكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رويته بحيث يوثرها على اهله وماله
وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه
وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من ذلك الجنس من يوثر زيارة قبره
وروية قبره وروية مواضع اثاره على جميع ما ذكرنا وقر في قلوبهم من محبته
غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى فكل مسلم في قلبه محبة
الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في محبته صلى
الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته عليه الصلاة والسلام
من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة
رضي الله عنهم في هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد
روى ابن اسحاق كما حكاه في الشفا ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها
وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول
الله قالوا خيرا هو بحمد الله بخير كما تحبين فقالت اورونيه حتى انظر اليه
فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة ورواه البيهقي في دلائله
وذكر صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم احد قتل محمد عليه السلام وكثرت
الصوارخ بالمدينة خرجت امراة من الانصار فاستقبلت باخيها وابيها
وزوجها وابنها قتلى لا تدري بايهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا

قالت

قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى
الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي اذ
سلمت من عطب وكذا رواه ابن ابي الدنيا بنحوه مختصرا وقال عمرو بن العاص
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن ابي طالب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا واباينا وامهاتنا
ومن الماء البارد على الظما ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة
وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب
انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في
اهلك فقال زيد والله ما احب محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا وروي مما ذكره القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى
اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة



رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول
فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وحسن اوليك رفيقا فدعا به فقراها عليه قال وفي حديث اخر كان رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي
انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله
فانزل الله الاية وذكر البغوي في تفسيره بلفظ نزلت الاية في ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي
مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت
الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه
الاية وكذا ذكره الواحدي في اسباب النزول وعزاه للكلبي عن ثوبان
قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة
وانت في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله الاية

وذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة بلفظ ان عامر الشعبي قال ان رجلا من
الانصار اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي
من نفسي واهلي ومالي وولدي ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت
او قال سوف اموت وبكى الانصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ابكاك قال بكيت ذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين
ونكون ان دخلنا الجنة دونك فلم يحر النبي صلى الله عليه وسلم اليه بمعنى
اي لم يرجع اليه بقول فانزل الله الاية قال وذكر مقاتل بن سليمان مثل
هذا وقال هو عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له ابن عبد ربه
الانصاري الذي راى الاذان وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان
يعمل في جنة له فاتاه ابنه فاخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال
اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره واعلم
انه لا يمكن ان يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة تقتضي توحيد
المحبوب فليختر المومن لنفسه احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب
والانسان عند محبوبه كائنا ما كان كما قيل

انت القتيل بحب من احببته ۝ فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

ولبعض الحكما كما ان الغمد لا يتسع لغضبين فكذلك القلب لا يتسع لحبين
وكذلك لازم اقبالك على من تهواه ۝ اعراضك عن كل شي سواه ۝ فمن دا
في المحبة ادداجا ۝ بعد عوض لدى الغيرة اذ داجا لمحبة الرسول
عليه السلام بل تقديمه في الحب على الانفس والاباء والابناء لا يتم الايمان
الا بها اذ محبته من محبة الله تعالى وقد حكي عن ابي سعيد الخراز مما
ذكره القشيري في رسالته انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
فقلت يا رسول الله اعذرني فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي
يا مبارك من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع لامراة من الانصار
معه صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن ابي الجد

الا يا محب المصطفى زد صبابة ۝ وضمخ لسان الذكر منك بطيبه ۝
ولا تعبان بالمبطلين فانما ۝ علامة حب الله حب حبيبه ۝

وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في

الكفر كما يكره ان يقذف في النار فتعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا وعلق وجدان
حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشيا الى العبد
هو ورسوله فمن رضي بالله ربا رضيه له عبدا ۝ ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ
الطاعات وتحمل المشقات في الدين ويوثر ذلك على اغراض الدنيا ومحبة
العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي
وقال غيره معناه ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله اكد عليه
من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلال والخلاص من النار
انما كان بالله على لسان رسوله وفي قوله عليه السلام حلاوة الايمان استعارة
تخييلية فانه شبه رغبة المومن في الايمان بشي حلو واثبت له لازم ذلك
الشي واضافه اليه وفيه تلميح الى قضية المريض والصحيح لان المريض الصفراوي
يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي وكلما نقصت الصحة
شيا ما نقص ذوقه بقدر ذلك وقال العارف ابن ابي جمرة واختلف
في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم
الفقها وحملها قوم على المحسوس وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتاولوه
وهم اهل الصفة او قال الصوفية قال والصواب معهم في ذلك والله اعلم
لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تاويل قال
ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات
فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال
حين صنع به ما صنع في الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد
فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون
واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبه ۝ محمدا وصحبه فمزج مرارة
الموت بحلاوة اللقا وهو حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابي الذي
سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فراى السارق حين اخذه فلم يقطع صلاته
لذلك فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه اكبر من ذلك وما ذاك الا لحلاوة التي
وجدها محسوسة في وقته ذلك ومنها حديث الصحابيين الذين جعلهما
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من جهة العدو وقد اقبل فراهما فنبل الجاسوس
القوس ورمى الصحابي فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه
فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال
لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي وما ذاك الا لشدة ما وجد فيها من

الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجده من الم السلاح قال ومثل هذا حكي عن كثير
من اهل المعاملات انتهى وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب
من لم يرا لوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان في غزوة ذات الرقاع فرمي رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في
صلاته وقد وصله ابن اسحاق قال في فتح الباري وشيخه صدقة ثقة وعقيل
بفتح اللام لعين لا اعرف راويا عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري او
لكونه اختصره او للخلاف في ابن اسحاق واخرجه البيهقي في الدلايل من وجه
اخر وسمي احدهما عباد بن بشر الانصاري وعمار بن ياسر من المهاجرين
والسورة الكهف وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل
وفي قوله وان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا باس
بهذه التثنية واما قوله للذي خطب فقال ومن يعصهما بيس الخطيب انت
فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح واما هنا فالمراد الايجاز في
اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله في موضع
اخر قال ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه وقيل انه من الخصايص فيمتنع من
غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم اطلاق
التسوية بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال
ابن عبد السلام ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب
ان تثنية الضمير هنا للايماء الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل
واحدة منهما فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله
مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد
لله ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من
العصيانين مستقل باستلزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل
استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في اولي الامر
لانهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي
والطيبي كما حكاه في فتح الباري وفي الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا قال في المدارج فاخبر ان للايمان طعما وان القلب
يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم

عن

عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق
تارة وبالطعام والشراب اخرى وبوجد الحلاوة تارة كما قال في ذاق وقال ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل فقال
اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وقد غلظ حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب
حسي للفم وسيأتي تحقيق الكلام في هذا ان شا الله تعالى في الصوم من مقصد عباداته
عليه السلام والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب تكون نسبته اليه
كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه السلام حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد
ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحال فباشر الايمان
قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته وقال العارف الكبير
تاج الدين بن عطا الله يعني في هذا الحديث اشارة الى ان القلوب السليمة من
امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات
الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له
وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما
رضي بالله ربا كان له الرضا من الله واذا كان له الرضى من الله اوجده الله حلاوة
ذلك ليعلم ما من به عليه وليعرف احسان الله عليه ولما سبقت لهذا العبد
العناية خرجت له العطايا من خزاين المنن فلما واصلته امداد الله وانواره
عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان
وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا
لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى ولازم من رضي بمحمد نبيا
ان يكون له وليا وان يتادب بادابه ويتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا
عنها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن اسا اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا
وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام
عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها
اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى
بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفا به انتهى ملخصا واعلم ان محبة الله على قسمين
فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصي
والرضى بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره
في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات

والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجا فيقدم على المعصية
والذنب ان يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك
في عموم الاوقات والاحوال نادرا وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته
عليه وفي رواية بشي احب الي من اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي المومن يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه وبصره الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر
وبي يبطش وبي يمشي ولين سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه
وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن قبض روح نفس عبدي المومن يكره الموت
واكره مسااته ويستفاد من قوله وما تقرب الى عبدي بشي احب الي ان اداء
الفرايض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة
ولا تنتجها الفرايض واجيب بان المراد من النوافل ما كانت مع الفرايض
مشتملة عليها ومكملة لها ويويده ان في رواية ابي امامة ابن ادم انك لن تدرك
ما عندي الا باداء ما افترضته عليك او يجاب بان الاتيان بالنوافل
لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرايض وقال الفاكهاني معنى
الحديث انه اذا ادى الفرايض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصيام
وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل ايضا بكون الباري جل
وعلا سمع العبد وبصره الى اخره واجيب باجوبة منها انه ورد على
سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في ايثاره امري فهو يحب طاعتي
ويوثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة
بي فلا يصغي سمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما امرته به ومنها
ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة
على عدوه ومنها انه على حذف مضاف اي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به
فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى اخره قاله الفاكهاني قال
ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون المعنى مسموعه لان المصدر
قد جا بمعنى المفعول مثل فلان املي بمعنى ما مولي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري
ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجايب ملكوتي ولا
تمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلما ممن يعتد
بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته حتى كانه

سبحانه

سبحانه ينزل عبده منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي
يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية زعموا انه على حقيقته
وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك
عن سرعة اجابة الدعا والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون
بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الحيري احد ايمة الطريق قال معناه
كنت اسرع الى قضا حوايجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في
اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل
الزيغ على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة
حتى تصفى من الكدورات انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وانه يفنى
عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه
وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا وعلى الاوجه كلها فلا متمسك
فيه للاتحادية ولا القايلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث ولين
سالني زاد في رواية عبد الواحد عبدي انتهى ملخصا وقال العلامة ابن القيم
تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب
فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرايضه والتقرب
اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله تعالى
اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه
المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم
يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى
مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلا المحبوب على محبه الصادق
في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع
سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه
وانيسه وصاحبه والبا هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها
ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسالة حالية لا علمية محضة
قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة
الرب لعبده في حوايجه ومطالبه فقال ولين سالني لاعطينه ولين
استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب
الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به
ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى

تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره
عبده ويكره مسائته لمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته
فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا
منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على
احسن احواله فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي التردد
في حق الله غير جايز والبدا عليه في الامور غير سايغ ولكن له تاويلان احدهما
ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من دا يصيبه وفاقة تنزل به
فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله
كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من
لقايه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفنا على خلقه واستاثر
بالبقا لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شي انا فاعله
كترديدي اياهم في نفس المومن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان
من لطمة عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة
المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال
الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار
متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال
العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته للموت
فيقبض على ذلك قال وقد تحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما
عنده والشوق اليه والمحبة للقايه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن
ازالة الكراهة عنه انتهى فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله
ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه
واطمانت قلوبهم واستانسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا
يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم
وغموم والام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه
المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله تعالى ويهتدي اليه
بطريق توصله اليه وتحرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم
بقلبه شاهد من شواهد الاخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في
التعلقات الفانية ويداب في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات
الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا

علي

على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه
فيصفو بذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت
طبعه ونفسه الى فضا الخلوة بربه وذكره كما قال

واخرج من بين البيوت لعلني ● احدث عنك النفس بالسر خاليا ●

فحينيذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق
اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته
على قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله
الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادي امره وكيفية
وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته واخلاقه وادابه وحركاته
وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله واصحابه
الى غير ذلك مما منحه الله تعالى مما ذكرت بعضه حتى يصير كانه معه
من بعض اصحابه واذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه
من ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد قلبه ما اذا انزلت فيه وماذا
اريد بها وحظه المختص بها منها من الصفات والاخلاق والافعال
المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفا من المرض المخوف
ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات اعظمها الاقتدا به
واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتدا بهديه وسيرته والوقوف
مع حد لنا من شريعته قال الله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اية محبة
العبد ربه وجعل جزا العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى
اياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده المحاسبي في
كتاب القصد والرجوع

● تعصي الاله وانت تظهر حبه ● هذا لعمري في القياس بديع ●
● لو كان حبك صادقا لاطعته ● ان المحب لمن يحب مطيع ●

وهذه المحبة تنشا من مطالعة العبد منة الله عليه من نعم الله
الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن
اعظم مطالعة منة الله تعالى على عبده منة تاهله لمحبته ومعرفته
ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واصل هذا نور يقذفه الله تعالى
في قلب العبد فاذا دار ذلك النور اشرقت له ذاته فراى في

نفسه وما اهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت
عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة
لا يجتمعان الا ويطرد احدهما فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة
والانس الى الحبيب الاول شعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى ... وحنينه ابدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر
الا بهما فليس الشان ان تحب الله بل الشان ان يحبك الله ولا يحبك
الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا واطعته
امرا واجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه
وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته وان لم تكن
كذلك فلا تتعن فلست على شيء وتامل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله
اي الشان في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا لا تنالونه الا باتباع الحبيب
وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله
عز وجل اتباع مرضات الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك
على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه واسرعت
الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل
حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد
عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات
غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها
اعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في اوراد العبادة كلفة وفي
الترمذي عن انس مرفوعا ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان
معي في الجنة وعن ابن عطا من الزم نفسه آداب السنة نور الله
قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من مقام متابعة الحبيب
في اوامره وافعاله واخلاقه وقال ابو اسحاق الرقي من اقران
الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه
وسلم وعن غيره لا يظهر على احد شيئا من نور الايمان الا باتباع السنة
ومجانبة البدعة فاما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم

من

من مشكاة النبوة لرسول صلى الله عليه وسلم بدعواه علما لدنيا اوتيه
فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا
بموافقته لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه تعالى فالعلم
اللدني نوعان نوع لدني روحاني ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا
وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم واما قصة موسى مع الخضر فالتعلق
بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر يخرج عن الاسلام
موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى
الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه
ان يهاجر الى موسى عليه السلام ويكون معه ولهذا قال له انت موسى
بني اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين
فرسالته عامة للانس والجن في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين
لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد كالخضر مع موسى او جوز ذلك لاحد
من الامة فليجدد اسلامه وليتشهد بشهادة الحق فانه مفارق لدين
الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اوليا الله تعالى وانما هو
من اوليا الشيطان وخلفائه ونوابه • والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة
العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلاة واتم التسليم
وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال
علي بن ابي طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء
دون الناس فقال لا الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني
الحقيقي • فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء
الصدور • ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المستوحشين ودليل
الحائرين ومن علامات محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد في
نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب
اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضاياه ولم يسلم له قال
شيخ المحققين • وامام العارفين تاج الدين ابن عطا الله الشاذلي اذاقنا
الله تعالى حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل
الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا واخذا
وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم

٥ والانقياد على كل مومن في كليهما فاحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة
باكتساب العباد واحكام التعريف هو ما اورده عليك من قهر المراد فتبين
من هذا انه لا تحصل لك حقيقة الايمان الا بالامرين الامتثال لامره
والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عن من لم يحكم
او حكم ووجد الحرج في نفسه حتى اقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله
صلى الله عليه وسلم رافة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا
والرب انما قال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك
تاكيد بالقسم وتاكيد في القسم علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه
من حب الغلبة ووجود النصرة سوا كان الحق عليها او لها وفي ذلك
اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاه
قضاه فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره
ولم يقبل منهم الايمان بالهيته حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه
وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
فحكمه حكم الله وقضاوه قضا الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله واكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم في الاية اشارة اخرى الى تعظيم
قدره وتفخيم امره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى وربك فاضاف
نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا
فاضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد صلى الله عليه وسلم واضاف زكريا
اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين
ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مومنين بل اشترط فقدان
الحرج وهو الضيق من نفوسهم في احكامه صلى الله عليه وسلم سوا كان الحكم
بما يوافق اهواهم او يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود
الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمومنون ليسوا كذلك اذ نور
الايمان ملا قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع
العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهياة لواردات احكامه
مفوضة له في نقضه وابرامه انتهى وقال سهل بن عبد الله
التستري من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال
ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال
لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وروينا عن السيد العارف

الكبير

الكبير ابي عبد الله القرشي انه قال حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت
ولا يبقى لك منك شي انتهى فمن اثر هذا الذي الكبير على نفسه كشف الله له
عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقايق
اسرار انسه ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصره دينه بالقول
والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم
والصبر والتواضع وغيرها مما ذكرته في اخلاقه العظيمة وتقدم في
كلام العارف ابن عطا الله مزيد لذلك قريبا فمن جاهد نفسه على ذلك
وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في
الدين واثر ذلك على اغراض الدنيا ياهذا اول نقدة من اثمان المحبة
بذل الروح فما للمفلس الجبان وسومها بدرهم المحب يباع وصلهم تالله ما
هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون
لقد انشئت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس
فتاخر البطالون وقام المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون ثمنا فدارت
السلعة بينهم ووقعت في يد اذلة على المومنين اعزة على الكافرين لما كثر
المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس
بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل لا
تثبت هذه الدعوى الا ببينة على صحة الدعوى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله فتاخر اكثرهم وثبت اتباع الحبيب في افعاله واقواله
واخلاقه فطولبوا بعدالة البينة بتزكية يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لايم فتاخر اكثر المحبين وقام المجاهدون فقيل
لهم ان نفوس المحبين واموالهم ليست لهم فهلموا الى بيعة ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة
من اجرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وان لها لشانا فراوا من
اعظم الغبن ان يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان
بالتراضي من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما
تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت نفوسكم واموالكم لنا رددناها
عليكم اوفر ما كانت واضعافها معها ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عن المصايب فان المحب

يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصائب ولا يجد من مسها ما يجد غيره
حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة
حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق
والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة ممزوج بالحلاوة فإذا انعقد
تلك الحلاوة اشتاق إلى ذلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون الصبابة ليتني ۞ تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها ۞ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن
أحب شيئا أكثر من ذكره ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ولآخر
ذكر المحبوب على عدد الأنفاس ولغيره للمحب ثلاث علامات أن يكون
كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة
المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون
وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيئا أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب
على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا
عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب
انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات
وانقطعت أوهامهم عن عوارض دواعي الشهوات ورقت إلى معادن
الذخائر وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين
وباح الأنين وتحركت المواجيد وتغير اللون واسترسلت الجوارح ونحل
البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما
سقط

إذا باح دمع المهجور هاجره ۞ باح المحب بما تخفي ضمائره
أبكيته الحب صب باح مدمعه ۞ لما جرى بالذي تخفي سرائره
كأنما قلبه أجفان مقلته ۞ ودمعه في أماقيه خواطره
يا جيرة الجزع هلا جيرة لفتى ۞ عليه في حكمه قد جار جائره
آه وكم لي على خطب الهوى خطب ۞ من الغرام به تعلو منابره
مهفهف أبلج بدر على غصن ۞ يخفي البدور إذا لاحت بوادره
مطرز الخد بالريحان في ضرج ۞ موردا به تزهو أزاهره
مكمل الخلق مما تحصى خصائصه ۞ منضود الحسن قد قلت نظائره

وربما زاد الوجد على المحب فقتله أو لم نعد من أثمان المحبة بذل الروح فما للمفلس

للجبان وسومها بدم المحب يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها المفلسون
ولا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد
فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون ينظرون أيهم
يصلح أن يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد أذلة على المؤمنين
أعزة على الكافرين **ومن علامات محبته** عليه الصلاة والسلام
تعظيمه عند ذكره وإظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه
فكل من أحب شيئا خضع له كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون
ذلك محبة وشوقا أو تهيبا وتوقيرا قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل
مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ
في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله
به وكان أيوب السختياني إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان
جعفر بن محمد كثير التبسم وإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر
لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى لونه
كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع وكان الزهري من أهنأ الناس وأقربهم وإذا
ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنك ما عرفته ولا عرفك وكان
صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة إذا سمع
الحديث أخذه العويل والزويل أشار إلى ذلك القاضي عياض **ومن علامات
محبته** صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق إلى لقائه إذ كل حبيب يحب لقاء
حبيبه ولبعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وعن معروف الكرخي المحبة
ارتياح الذات لمشاهدة الصفات أو مشاهدة أسرار الصفات فيري
بلوغ السول ولو لمشاهدة الرسول ولهذا كانت الصحابة رضي الله عنهم
إذا اشتد بهم الشوق وأزعجهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستشفعوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر إليه
والتبرك به صلى الله عليه وسلم **وعن** عبدة بنت خالد بن معدان ما كان
خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفرعي واليهم
حن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم ولما احتضر
بلال نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمد وصحبه
اذ اذا اذاق القلب طعم المحبة اشتاق وتاججت نيران الحب والطلب في قلبه وتجد
صبره عن محبوبه من اعظم كبايره كما **قيل**

والصبر يحمد في المواطن كلها ۔ الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يعس فراى مصباحا
في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار ۔ صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا في الاسحار ۔ يا ليت شعري والمنايا اطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى
باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال لها اعيدي علي قولك
فاعادته بصوت حزين فبكا وقال لها وعمر لا تنسينا يرحمك الله فقالت
وعمر فاغفر له يا غفار وحكي انه رويت امراة مسرفة على نفسها بعد
موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل بماذا قالت بمحبتي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى
حبيبنا نستحي ان نذله بعذابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه **ومن علامات**
محبته صلى الله عليه وسلم حب القران الذي اتى به وهدى به
واهتدى به وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من
محبة الله ورسوله فانظر محبة القران من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم
اعظم من التذاذ الملاهي والغنا المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب
محبوبا كان كلامه وحديثه احب شي اليه كما **قيل**

ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي ۔ اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي

ويروى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت
من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال
النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن مسعود اقرا علي قال اقرا عليك وعليك
انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح وقرا سورة النساء حتى
بلغ فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا قال
حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من

البكا

البكا رواه البخاري وهذا يحصل لمن سمع الكتاب العزيز باذن قلبه قال الله تعالى
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق
قال صاحب عوارف المعارف اذاقنا الله حلاوة مشربه هذا
السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه
بالهداية وهذا سماع ترد حلاوته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه
تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يورث
ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملو
ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عصرتا ما فاذا
اثر السماع بالقلب تارة يخف الما فيظهر اثره في الجسد فيقشعر منه الجلد
قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه
ويتصوب اثره اي يقصد نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة
يتصوب اثره الى الروح فيموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق
القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال تجدها
اربابها من اصحاب الاحوال وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مر باية في ورده
فتخنقه العبرة فيسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب
مريضا وقد كان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكر
ربنا فيبكوا وهم يسمعون فللمحبين السماع القراني من الوجد والذوق واللذة
والحلاوة والسرور اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني فاذا رايت
الرجل ذوقه ووجده وطربه ونشاته في سماع الابيات دون الايات وفي
سماع الالحان دون سماع القران كما قيل تقرا عليك الختمة وانت جامد
كالحجر ۔ وبيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان ۔ فاعلم ان هذا من اقوى
الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله ادام الله تعالى لنا حلاوة
محبته ولا سلك بنا في غير سبيل سنته بمنه ورحمته **ومن علامات محبته**
صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراة حديثه فان من دخلت حلاوة
الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله او من حديث رسوله صلى الله عليه
وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه ويقول

اسم منك نسيما لست اعرفه ۔ اظن لميا جرت فيك اردانا

فتعم تلك الكلمة وتشمله فتصير شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا
فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني ۞ سره في ضمائري مدفون
إن تذكرته فكلي قلوب ۞ أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند
ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه
من عطفه عليه ولا شيء أشد للمحبة وحريقه من إعراضه عنه ولهذا
كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني
كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه وإقباله
أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله تعالى من ذوق حلاوة هذا
المشرب **ومن علامات محبته** صلى الله عليه وسلم أن يلتذ محبه بذكره
الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا
يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل
وسبب اللذة إدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فإذا كانت المحبة
قوية وإدراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بإدراكه تابعة لقوة هذين
الأمرين فإن كان العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك وإن كان ضعيفا
حدث السكر المخرج له عن حكمه وقد حدد السكر بأنه سقوط التمالك
في الطرب كأنه يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها
ولا يقدر أن يخفيها وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بإدراك
المحبوب بحيث تختلط كلامه وتتغير أفعاله بحيث يزول عقله ويعربد
أعظم من عربدة شارب الخمر وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي
وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو
حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث
الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة بعد أن
استشعر الموت اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة فرحه
وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فصور في نفسك حال فقير معدم عاشق
للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف تكون
سكرته ۞ أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم
فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب أضعافه ۞ ومن أقوى
أسباب ما نحن فيه سماع الأصوات المطربة بالإنشادات بالصفات
النبوية المغربة إذا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكره

السامع

السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين أحدهما أنها في نفسها توجب
لذة قوية يغمر منها العقل الثانية أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها وجهته
فيحصل بتلك الحركة والشوق الطلب مع التخيل للمحبوب وإحضاره في النفس
وإدناء صورته إلى القلب واستيلاؤها على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فيجتمع
لذة الألحان ولذة الأشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا أطيب وألذ من سكر
الشراب ويحصل به نشأة ألذ من نشأة الشراب **وقد** ذكر الإمام وغيره
أن الله تعالى يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا
فيقول كيف وقد أذهبته فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش
فيمجده فإذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة وأعظم من ذلك
إذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فإذا انضاف إلى ذلك رؤية
وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فأمر لا
تدركه العبارة ولا تحيط به الإشارة وهذه صفة لا تلج كل أذن وصيب
لا يحيي كل أرض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل
سامع ومائدة لا يجلس عليها كل طفيلي أشار إليه في المدارج فمن اتصف بهذه
العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله ولرسوله ومن خالف بعضها
فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام
للذي حد في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه
وسلم لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله فأخبر أنه يحب الله ورسوله مع وجود
ما صدر منه وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن
لعنه وثبوت الأمر بالدعاء له وفيه أنه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت
محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع
منه محبة الله ورسوله ويحتمل أن يكون استمرار محبة الله ورسوله في قلب
العاصي مقيدا بما إذا ندم على وقوع المعصية أو إذا أقيم عليه الحد فكفر عنه
الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فإنه يخشى بتكرار الذنب أن ينطبع
على قلبه حتى يسلب منه ذلك نسأل الله العفو والثبات على محبته وسلوك
سنته بمنه ورحمته **تنبيه** وقد اختلف العلماء أيما أرفع درجة
المحبة أو درجة الخلة فحكى القاضي عياض أن بعضهم جعلهما سواء فلا يكون الحبيب
إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا لكنه خص إبراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه
وسلم بالمحبة وقال بعضهم درجة الخلة أرفع واحتج بقوله عليه الصلاة

والسلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذ وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها
واسامة انتهى وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة ماخوذة من معنى
الخلة لكن يرد ما روي في قصة الاسرا في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى
حيث قال له يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا او ما في
معناه رواه البيهقي وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال
بتفضيل مقام المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفا
منها نقلا عن الامام ابي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة **وهذا** ان الخليل
يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
والحبيب يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى **منها** ان الخليل
قال لا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي **ومنها** ان الخليل قال في
المحنة حسبي والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله ومنها ان الخليل هو الذي
يكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر **وفي** كتابي تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري وجوه اخرى
غير ما حكاه القاضي عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك
ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان يكون في حد ذاتهما يعني باعتبار مدلول
خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات
محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والتسليم لا يقال
باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول كل منهما ثابت له
وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه السلام وصف المحبة لا سيما
والخلة اخص من المحبة ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لا
سيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة قول الله تعالى له اني اتخذتك خليلا وقد قام
الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا بل هو افضل خلق الله مطلقا
واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد غرضنا في هذا المقام الذي هو
بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الى المعرفة
الحسي ممتنع على الله عز وجل واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول الى الله تعالى
لا يكون الا به حبيبا كان او خليلا واما قوله الخليل هو الذي تكون مغفرته
في حد الطمع الى اخره فانه لا يصح ان يكون على جهة التفسير للخليل ولا تعلق له

معناه

معناه وقصارى ما ذكره انه يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم
عليه الصلاة والسلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك
من وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلا واكمل وافضل من المحبة قال
ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم
خليل ومحمد حبيب الله فمن جهله فالمحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية
المحبة **قال** وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اتخذه خليلا ونفى
ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعايشة ولابيها ولعمر بن الخطاب
ولغيرهم وايضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المقسطين
ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين وخلته خاصة
بالخليلين قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله انتهى وقال
الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري وزعم بعضهم ان المحبة
افضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وضعف
بان الخلة خاصة وهي توحيد الحب والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله
يحب التوابين قال وقد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
انتهى

الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم فريضة وفضيلة

قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند
الملايكة ومعنى صلاة الملايكة عليه الدعا قال في فتح الباري وهذا اولى
الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة
الملايكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب
اصل الصلاة **وعن** ابن عباس ان معنى صلاة الملايكة الدعا بالبركة وروى
ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حبان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملايكة
الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته
وصلاة الملايكة الدعا اخرجهما اسماعيل القاضي عنه وكانه يريد الدعا بالمغفرة
ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملايكة رقة تبعث
على استدعا الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله
تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سالوه عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر
الرحمة في تعليم السلام حيث جا بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله

ورحمة الله وبركاته وا قرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى
الرحمة لقال لهم لقد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى
السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون
عامة فتكون صلاته على انبيايه وهي ما تقدم من الثنا والتعظيم وصلاته
على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شي وحكى القاضي عياض عن بكر
القشيري انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريفا
وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي
صلى الله عليه وسلم وبين سايرالمومنين حيث قال تعالى في سورة الاحزاب
ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو
الذي يصلي عليكم وملايكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى
الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان في
هذه الاية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها
وقال الحليمي في الشعب معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه
فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا باعلا
ذكره واظهار دينه وابقا شريعته وفي الاخرة باجزال مثوبته وتشفيعه
في امته وابدا فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى
صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف اله
وازواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعا لهم بالتعظيم اذ تعظيم
كل احد بحسب ما يليق به وما تقدم عن ابي العالية اظهر فانه يحصل به
استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى ملايكته والى المومنين المامورين
بذلك بمعنى واحد ويويده انه لا خلاف في جواز الترحم على الانبيا واختلف
في جواز الصلاة على غير الانبيا ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم
محمدا وترحم على محمد جاز لغير الانبيا وكذا لو كان بمعنى البركة وكذلك
الرحمة تسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في
التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال
عنه بان ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الاتيان به ولو سبق الاتيان
بما يدل عليه **فان قلت** في اي وقت وقع الامر بالصلاة عليه صلى الله
وسلم عليه فالجواب كما قاله ابو ذر الهروي انه وقع في السنة
الثانية من الهجرة وقيل في ليلة الاسرا وقيل ان شهر شعبان شهر

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لان اية الصلاة يعني ان الله وملايكته
يصلون على النبي نزلت فيه والله اعلم قال الحليمي والمقصود بالصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضا حق النبي
صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال في الباب الثامن من
كتابه المسمى بشجرة المعارف وليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم
شفاعة له فان مثلنا لا يشفع في مثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا
فان عجزنا عنها كافاناه بالدعا فارشدنا الله تعالى لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا
الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد المرجاني وقال ابن العربي فايدة
الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة
وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة
الكريمة صلى الله عليه وسلم واختلف ——— في حكم الصلاة عليه صلوات
الله وسلامه عليه على اقوال **احدها** انها تجب في الجملة بغير حصر لكن اقل
ما يحصل به الاجزا مرة **الثاني** يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله
القاضي ابو بكر بن بكير من المالكية وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض
الله على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم
يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها **الثالث**
تجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية
وقال ابن العربي من المالكية انه الاحوط وكذا قال الزمخشري واستدلوا
لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فابعده
الله اخرجه ابن حبان من حديث ابي هريرة وحديث رغم انف من ذكرت
عنده فلم يصل علي رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه الحاكم وحديث
شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعا
بالرغم والابعاد والشقا يقتضي الوعيد والوعيد على الترك من علامات الوجوب
ومن حيث المعنى ان فايدة الامر بالصلاة عليه مكافاته على احسانه واحسانه
مستمر فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلي عليه كان كاحاد الناس
واجاب من لم يوجب ذلك باجوبة منها انه قول لا يعرف عن احد من
الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم
المؤذن اذا اذن وكذا سامعه وللزم القاري اذا مر باية فيها ذكره

عليه الصلاة والسلام في القران وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ
بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة
السمحة بخلافه ولكان الثنا على الله تعالى كلما ذكر احق بالوجوب ولم يقولوا
به وقد اطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة
كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قايله لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة
انه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم
ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة اخرى واجابوا عن الاحاديث
بانها خرجت مخرج المبالغة في تاكيد ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد
ترك الصلاة عليه ديدنا وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرار ذلك بتكرار
ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد انتهى ملخصا والله اعلم الرابع
في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري الخامس في كل دعا
حكاه ايضا السادس انها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري
وادعى الاجماع على ذلك واحتج على ذلك ورد مع ورود صيغة الامر بذلك
بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين من علما الامة على ان ذلك غير مستلزم
فرضيتها حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل على ان الامر فيه للندب ويحصل
الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة قال في فتح الباري وما ادعاه
من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة
اما بطريق الوجوب واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف
الا ما اخرجه ابن ابي شيبة والطبري عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول
المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته يجزي عن
الصلاة ومع ذلك انما ادعى اجزا السلام عن الصلاة السابع تجب في العمر مرة
في الصلاة او غيرها ككلمة التوحيد قاله ابو بكر الرازي من الحنفية الثامن تجب
في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن ابي جعفر التاسع تجب في التشهد
وهو قول الشعبي واسحاق بن راهويه العاشر تجب في القعود اخر الصلاة
بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه
اصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود البدري
انهم قالوا يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا
نحن صلينا في صلاتنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الحديث ومعنى
قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك هو الذي في التشهد

الذي

الذي كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القران وفيه السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته وروى الشافعي في مسنده عن ابي هريرة مثله وقد احتج
بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعي في الام
فرض الله الصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة عليه
في موضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة على النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثنا صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
عن ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال
تقولون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الحديث اخبرنا ابراهيم
ابن محمد حدثني سعيد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى
عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم الحديث قال
الشافعي فلما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في
الصلاة وروي انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز ان يقول
التشهد في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة وقد تعقب
بعض المخالفين هذا الاستدلال من اوجه احدها ضعف ابراهيم بن محمد
ابن ابي يحيى والكلام فيه مشهور الثاني على تقدير صحته فقوله في الاول
يعني في الصلاة لم يصرح بالقايل يعني الثالث قوله في الثاني انه كان يقول
في الصلاة وان كان ظاهره ان المراد الصلاة المكتوبة لكنه يحتمل ان يكون
المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة عليه وهو احتمال قوي لان
اكثر الطرق عن كعب بن عجرة تدل على ان السوال وقع عن صفة الصلاة
لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد خصوصا
بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متاخري المالكية وغيرهم في
التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة وزعموا انه قد تفرد
بذلك وحكى الاجماع على خلافه منهم ابو جعفر الطبري والطحاوي وابن
المنذر والخطابي وحكى القاضي عياض في الشفا مقالاتهم وقد عاب
عليه غير واحد وقالوا كان ينبغي سكوته عنها لان مبنى تاليفه الشفا
على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم واداء حقوقه والقول بوجوب

الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه وقد استحسن هو القول
بطهارة فضلاته مع ان الاكثر على خلافه لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في
تعظيمه وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه وهي من جنس الصلاة
ومقتضياتها واذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين
فكيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين وقد انتصر جماعة كثيرة
من العلماء الاعلام للشافعي كالحافظ عماد الدين ابن كثير والعلامة ابن القيم
وشيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل ابن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم
ممن يطول عدهم واستدلوا لذلك بادلة نقلية ونظرية ودفعوا دعوى
الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود
وابو مسعود البدري وجابر بن عبد الله ونقله اصحاب الشافعي عن عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سيأتي
وكذا ابو جعفر الباقر ومقاتل واخرج الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود
قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه
قال الحافظ ابن حجر وهذا اقوى شيء يحتج به للشافعي وان ابن مسعود ذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وانه قال ثم ليتخير من
الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلاة عليه قبل الدعاء دل على
انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك
بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي مثل ما ذكر القاضي
عياض قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم
ليس فيه ذكر الصلاة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا واخرج
العمري في عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد قوي عن الشعبي وهو من
كبار التابعين قال كنا نعلم التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده
ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
يسال حاجته وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا من صلى
صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب
انه من قول ابي جعفر بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها
على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم لكن روايته
عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف كذا في الشفا وقد وافق الشافعي
من فقهاء الامصار احمد في احد الروايتين عنه وعمل به اخيرا كما حكاه عنه

ابو زرعة

ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير واوجب اسحاق ابن راهويه الاعادة
مع تعمد تركها دون النسيان والمشهور عن احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا
وعليه اكثر اصحابه حتى ان بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سالوه كما ذكره ابن كثير ووافق للخرقي اسحاق
في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب
في سنن الصلاة ثم قال والصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد ان في
وجوبها قولين وهو ظاهر كلام الامام ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار
وعبد الوهاب كما في الشفا بلفظ انه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي
قال وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة
الوجوب والسنة والندب ورايت مما عزي للقاضي ابي بكر بن العربي في
سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
من فرائض الصلاة وهو الصحيح انتهى وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب
الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي في شرح الهداية عن اصحاب
المحيط والعقد والتحفة من كتبهم ان يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم
ذكره صلى الله عليه وسلم في اخر التشهد في قوله واشهد ان محمدا رسول الله
لكن لهم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة ولم يخالف الشافعي
احد من اصحابه في ذلك بل قال بعض اصحابنا بوجوب الصلاة على الال كما حكاه البندنيجي
والدارمي ونقله الامام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي قال الحافظ ابن كثير
والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وللقول بوجوبه ظهور للحديث واما
مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي فلا يعتد به لمقتضى الامر المحمول على الوجوب
اجماعا واولى احواله الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا واما قوله ولا
اعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعي قدوة يقتدى والمقام مقام
اجتهاد فلا يفتقر له فيه الى غيره واما قوله في الشفا والدليل على انها ليست
من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه ففيه
نظر لانه ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى نقل صحيح عنهم وبان ذلك
ليس بواجب واني يوجد ذلك واما قوله وقد شنع الناس عليه يعني
الشافعي هذه المسالة جدا فلا معنى له واي شناعة في ذلك ولم يخالف
فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من
محاسن مذهبه ولا ريب ان القائل بجواز ترك الصلاة على فضل الله

في الصلاة التي هي راس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها
والثنا عليه اولى بالتشفيع واما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه واما قوله
ان الشافعي اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به احد والشافعي انما اختار
تشهد ابن عباس كما سيأتي ان شا الله تعالى في مقصد عباداته صلى الله عليه
وسلم وقد استدل للوجوب بما اخرجه ابو داود والنساي والترمذي
وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد
قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعوا في صلاته لم يحمد الله ولم يصل
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم
فليبدا بالحمد لله والثنا عليه ثم ليصل علي ثم ليدع بما شا **قلت** ومما
يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره الساري ان القاضي عياض ساق
الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير ان يطعن في سنده بعد قوله
فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعا وهذا الحديث
كما يرى من اعظم الادلة لنا **فان قال قايل** ليس لكم فيه دلالة لانه قال
فيه سمع رجلا يدعوا في صلاته ولم يقل في تشهده **يجاب** بانه يلزم
على هذا ان القاضي عياض ساقه في غير محله لانه عقد الفصل كما قدمته
لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال ومن ذلك في تشهد الصلاة
وفي مصابيح البغوي من حديث فضالة بن عبيد هذا ما يدل على انه كان
في التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله
بما هو اهله وصل علي ثم ادعه وفي قوله عجلت ما يلوح فوات الكمال
عن الحقيقة المجزية اذ لو كانت مجزية لما حسن اللوم والتعليم بصيغة
الامر فان قال انه في مقام تعليم المستحبات اذ لو كان في الواجبات
لامره بالاعادة كما امر المسي صلاته يجاب بان في قوله هذا غنية
عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب علم قطعا انه لم يات
به اولا فلم يكن اتيا به فوجب اعادته وهم اهل الفهم والعرفان فان قال
ان قوله فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت
وفرغت فقعدت للدعا فاحمد الله يجاب بان الاصل عدمه وانما
هو عطف على المذكور اي اذا كنت في الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد الله اي

اثنى عليه

اثنى عليه بقولك التحيات لله الى اخره والله اعلم وقال الجرجاني من الحنفية
وغيره انه لو كانت فرضا للزم تاخير البيان عن وقت الحاجة لانه عليه الصلاة
والسلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعا ما شا ولم يذكر الصلاة عليه
واجيب باحتمال انه لا تكون فرضت حينيذ وقال الحافظ زين الدين
العراقي في شرح الترمذي قد ورد هذا في الصحيح بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخي
فدل على انه كان هناك شي بين التشهد والدعا انتهى وقد اطنب ابو امامة
ابن النقاش في تفسيره من الانتصار للشافعي في هذه المسالة بما يطول ذكره
فالله يثيبه على قصده الجميل **واما صفة الصلاة عليه** صلى الله عليه وسلم
فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله علمنا كيف نسلم عليك
فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنساي
فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على ابراهيم
اجاب القاضي عياض بان الال مقحم كما في قوله عليه الصلاة والسلام
في ابي موسى انه اعطي مزمارا من مزامير ال داود ولم يكن له ال المشهور بحسن الصوت
وقد روى هذا الحديث ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملايكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف
الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم
وال ابراهيم انك حميد مجيد وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول وعلينا معهم
وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه الامام احمد وعن
ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس
سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك فكيف
نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم
يساله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك

ومسلم وغيرهما **فان قلت** ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم
مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى
الله عليه وسلم وحده افضل من ال ابراهيم ومن ابراهيم ولا سيما وقد اضيف
اليه ال محمد وقضية كونه افضل ان تكون الصلاة المطلوبة افضل من كل
صلاة حصلت او تحصل لغيره فقد **اجاب** العلماء عنه باجوبة كثيرة
منها انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من
ابراهيم وقد اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه
وسلم يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وتعقب بانه لو كان
كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد ان علم انه افضل **ومنها** انه
قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك الفضيلة
ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلاة باصل الصلاة لا للقدر
بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والذين
وهو كقول القايل احسن الى ولدك كما احسنت الى فلان ويريد بذلك
اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك
ورجح القول القرطبي في المفهم **ومنها** ان قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه متعلقا بقوله وعلى ال محمد **وتعقب**
بان غير الانبيا لا يمكن ان يسا[و]وا الانبيا فكيف يطلب لهم صلاة مثل
الصلاة التي وقعت لابراهيم والانبيا من اله ويمكن الجواب عنه
بان المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سببا
للثواب وقد نقل العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا
الجواب عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك لانه مع فصاحته
ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب
الركيك البعيد من كلام العرب كذا قال **وتعقبه** الحافظ ابن حجر
فقال ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على
ال محمد كما صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية ومنها
المقدمة المذكورة اولا وهو ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس
مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة
واين يكون نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون
شيا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم

ابراهيم وال ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوايف حسن
ان يطلب لمحمد وال محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وال ابراهيم
ويويد ذلك ختم ذلك الطلب المذكور بقوله في العالمين اي كما اظهرت الصلاة
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر ابراهيم
دون ذكر ال محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابن مسعود
الانصاري الذي ذكرته وهذا معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور من
باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر وقال النووي احسن الاجوبة ما نسب
الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلاة باصل الصلاة وللمجموع بالمجموع
وقال ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع
واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم من ال ابراهيم وقد ثبت ذلك عن
ابن عباس في تفسير قوله ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران
على العالمين قال محمد صلى الله عليه وسلم من ال ابراهيم فكانه امرنا ان نصلي
على محمد وعلى ال محمد خصوصا بقدر ما صلينا عليه مع ابراهيم وال ابراهيم
عموما فيحصل لاله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر ازيد مما لغيره
من ال ابراهيم وتظهر حينيذ فايدة التشبيه وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل
من المطلوب بغيره من الالفاظ وقال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملايكة
قالت في بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم
ان محمدا وال محمد من ال ابراهيم فكانه قال اجب دعا الملايكة الذين قالوا ذلك في محمد
وال محمد كما اجبتها عندما قالوها في ال ابراهيم الموجودين حينيذ ولذلك ختم
بما ختم به الاية وهو قوله انك حميد مجيد **ومما** يعزى للعارف الرباني ابي محمد
المرجاني انه قال وسر قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم وكما باركت
على ابراهيم ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى عليه السلام كان التجلي له بالجلال
فخر موسى صعقا والخليل ابراهيم عليه السلام كان التجلي له بالجمال لان المحبة والخلة
من اثار التجلي بالجمال فلهذا امرهم صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلى
على ابراهيم ليسالوا له التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل
صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يسالوا له التجلي بالوصف الذي تجلى
به للخليل عليه السلام والذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي هو التجلي
بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال
لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد

منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته فيتجلى للخليل عليه السلام بالجمال
بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالجمال على حسب مقامه فعلى
هذا يفهم الحديث انتهى **فان قلت** ما المراد بال محمد في الحديث **فالجواب**
ان الراجح انهم من حرمت عليه الصدقة كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور
ويويده قوله عليه الصلاة والسلام للحسن بن علي انا ال محمد لا تحل لنا الصدقة
وقيل المراد بال محمد ازواجه وذريته وقيل المراد بهم جميع الامة امة الاجابة
حكاه ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية ورجحه النووي في شرح مسلم وقيده
القاضي حسين بالاتقيا منهم وعليه يحمل كلام من اطلق ويويده ما رواه تمام
في فوايده والديلمي عن انس قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ال محمد
فقال كل تقي من امة محمد زاد الديلمي ثم قرا ان اولياوه الا المتقون واسناده هما
ضعيف لكن ورد ما يشهد لذلك في الصحيحين حديث ان ال ابي فلان ليسوا لي
باوليا انما وليي الله وصالح المومنين انتهى ملخصا **وقد** استدل العلما بتعليمه صلى
الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سوالهم عنها بانها افضل كيفيات
الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف
ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة فطريق البر ان ياتي بذلك هكذا
صوبه النووي في الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي عن ابراهيم المروزي انه قال
يبر اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه اخذ
ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ غفل
بدل سهى وقال الاذرعي ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين
ومع هذا ذلك فالقاضي قال في طريق البر ان يقول اللهم صل على محمد كما هو اهله
ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه ولو جمع بينها فقال ما في الحديث واضاف
اليه اثر الشافعي وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل انه يعمد الى جميع ما اشتملت
عليه الروايات الثابتة فيستعمل منها ذكرا يحصل به البر لكان حسنا **وعن** ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب
الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي
الذي قال اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد تحجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال

والجازه ابو محمد بن ابي زيد انتهى وسياتي ما في ذلك من البحث ان شا الله تعالى
في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد **وعن** سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس
هذا الدعا وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم
داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك
ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا
في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى
قبسا لقابس الا الله متصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم وانهج موضحات الاعلام ونايرات الاحكام ومنيرات الاسلام
فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير
من فضلك مهنيات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطايك
المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له
نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل
وخطة فصل وبرهان عظيم حديث موقوف رواه الطبراني لكن قال
الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال وقال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي
سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقوله يا داحي
المدحوات اي باسط الارضين وكل شي بسطته ووسعته فقد دحوته
وباري المسموكات اي خالق السموات وكل شي رفعته واعليته فقد سمكته
والدامغ لجيشات الاباطيل اي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل
الدمغ من الدماغ دمغه اصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع
واضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة واورى قبسا لقابس اي اظهر
نورا من الحق لطالبه والا الاء نعم الله وتصل باهله اي باهل ذاك القبس
وهو الاسلام والحق اسبابه واهله المومنون وبه هديت القلوب بعد
خوضات الفتن والاثم اي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام
ونايرات والمنيرات الواضحات يقال نار الشي وانار اذا وضح وشهيدك
يوم الدين يريد الشاهد على امته يوم القيامة وبعيثك الى نعمة اي مبعوثك
فعيل بمعنى مفعول وافسح له اي وسع له وفي عدنك اي في جنتك جنة
عدن والمعلول من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان عطاه

مضاعف كانه يعلي به عباده اي يعطيهم عطا بعد عطا واعلى علي بنا الناس
وفي رواية البانيين اي ارفع فوقا عمال العالمين عمله واكرم مثواه اي منزله
ونزله رزقه والخطاب بضم الخا المعجمة الامر والقصة والفصل القطع
وعن عبد الله ابن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا
له علمنا قال فقولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير
ونبي الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم
وال ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجة وعن رويفع
ابن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على
محمد وقال اللهم انزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة
وجبت له شفاعتي رواه الطبراني قال ابن كثير واسناده
حسن ولم يخرجوه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المومنين وذريته
واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود وعن
طاووس سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا واعطه سوله في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى رواه اسماعيل
القاضي قال ابن كثير واسناده جيد قوي صحيح واما المواطن التي
تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله وسلم عليه فمنها التشهد
الاخير وهي واجبة فيه كما قدمنا وفي وجوبها في التشهد الاول قولان
اظهرهما المنع لبنايه على التخفيف بل سنة وفي استحباب الصلاة على
الال في التشهد الاول القولان وفي وجوبها في الاخير ايان اصحهما المنع
بل هي سنة تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها
على الال واله وقال في الكفاية باعادة على ومنها خطبة الجمعة وكذا
غيرها من الخطب فلا تصح خطبتنا الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها
شرط فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالاذان والصلاة

وهذا

وهذا مذهب الشافعي واحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام
احمد عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة
صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة واخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنساي من حديث
كعب بن علقمة وذكره بلفظ الرجا وان كان متحققا لوقوع ادبا وارشادا
تعليما منه وتذكيرا بالخوف وتفويضا الى الله بحسب مشيته وليكن
الطالب للشي بين الرجا والخوف وقوله حلت عليه الشفاعة اي وجبت
وقيل غشيته ونزلت به تنبيه قال شيخنا في المقاصد الحسنة
حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان لم اره في شي من الروايات
واصل الحديث عند احمد والبخاري والاربعة عن جابر مرفوعا من قال
حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة
قال وكان من زادها اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفا من حديث جابر
المشار اليه لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة علم عليها كاتبها بما يشير
الى الشك فيها ولورارها في ساير نسخ الشفا بل في الشفا عقد لها فصلا في مكان
اخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم ومنها
اول الدعا واوسطه واخره لما روي احمد من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهرقه
ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه واخره ومنها وهو من اكدها
عقب دعا القنوت لما رواه احمد واهل السنن وابن جرير وابن حبان
والحاكم من حديث ابي الجوزا عن الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت
وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي
ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النساي
في سننه وصلى الله على النبي وسياتي في المقصد التاسع البحث في ذلك ان شا الله
تعالى ومنها اثنا تكبيرات العيدين لما روي اسماعيل القاضي ان ابن مسعود

وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدا فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعوا وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وابو موسى صدق ابو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح **ومنها** عند دخول المسجد والخروج منه لما رواه احمد عن فاطمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم وقال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك **ومنها** في صلاة الجنازة فان السنة ان يقرا الفاتحة بعد احدى التكبيرات وبعد الاولى وان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعوا للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي **ومنها** عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن القسم بن محمد بن ابي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال **ومنها** عند الصفا عند الصفا والمروة لما روى اسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات بين حمد وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسالة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن قوي **ومنها** عند الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة وان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وروى اسماعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لم يروا من الثواب **ومنها** عند الصباح والمسا لما روى الطبراني من حديث ابي الدردا مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة **ومنها** عند الوضوء لحديث ابن ماجه عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم **ومنها** عند طنين الاذن لحديث ابي رافع عند

ابن

ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير **ومنها** عند نسيان الشي لحديث ابي موسى المديني بسند فيه ضعف عن انس يرفعه اذا نسيتم شيا فصلوا علي تذكروه ان شا الله **ومنها** بعد العطاس كما ذهب اليه ابي موسى المديني وجماعة ونازعهم في ذلك اخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك **ومنها** عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وروى ابن عساكر من صلى علي عند قبري سمعته وورد الامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها فعن اوس بن اوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة علي فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا رواه احمد وابو داود والنسائي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في اسناده ضعف **فان قلت** ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها **اجاب** ابن القيم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والاخرة انما نالته على يديه صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانما تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يديه فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم ان نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته **واما فضيلة الصلاة عليه** صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في احاديث قوية لم يخرج البخاري منها شيا فمنها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا وقال الترمذي حديث حسن صحيح وعن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد احدا
يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا
فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه فقال احسنت يا عمر حين
وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة
صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني قال ابن كثير
وقد اختار هذا الحديث الحافظ المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وعن
ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى
في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك
فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من
امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه
عشرا قال بلى رواه الدارمي واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له
وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد
وابن ماجة من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من صلى على رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة فليقلل
عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في المخير
فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد
وروى الترمذي ان ابي بن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك
فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو
خير لك قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفى
همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن فهذا ما يتعلق بالصلاة واما
السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل بورود الامر
بهما معا في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم
اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد
علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان
علمهم الصلاة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم مدة قبل الصلاة عليه لكن
قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلا اما لو صلى في

وسلم

وسلم في وقت اخر فانه يكون ممتثلا وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام
بمعنى الصلاة فلا تستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبيا فلا يقال علي عليه
السلام سوا في هذا الاحيا والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام
او عليكم السلام او السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة
بعض النساخ ان يفردوا عليا وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولوا عليه او عليها
السلام من دون ساير الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي
ان يساوي بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم
والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار اليه ابن كثير واما الصلاة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها واخرج البيهقي بسند واه من حديث
بريدة رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى انبيا الله واخرج اسماعيل
القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبيا الله واخرج
الطبراني من حديث ابن رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبيا الله فان الله
بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم
اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلاة
ينبغي على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكي القول
به عن مالك وجا نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان
يصلى على نبي وعن بعض شيوخ مذهب احمد مالك لا يجوز ان يصلى على محمد
قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره الصلاة على غير الانبيا
وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا باس به واحتج
بان الصلاة دعا بالرحمة فلا تمنع الا بنص واجماع واما الصلاة على غير
الانبيا فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وال محمد
ونحوه فهذا جايز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبيا بالصلاة
عليهم فقال قايلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
وبقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله ابن ابي اوفى قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه
ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور
من العلما لا يجوز افراد غير الانبيا بالصلاة لان هذا قد صار شعارا للانبيا
اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال علي

رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد احدا
يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا
فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه فقال احسنت يا عمر حين
وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة
صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني قال ابن كثير
وقد اختار هذا الحديث الحافظ المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وعن
ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى
في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك
فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من
امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه
عشرا قال بلى رواه الدارمي واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له
وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد
وابن ماجة من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من صلى على رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته عشر سبعين صلاة فليقل
عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في المخير
فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد
وروى الترمذي ان ابي بن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك
فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو
خير لك قلت فالنصف قال شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفى
همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن فهذا ما يتعلق بالصلاة واما
السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل بورود الامر
بهما معا في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم
اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد
علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان
علمهم الصلاة والسلام كما قد علمتم فافردا التسليم مدة قبل الصلاة عليه لكن
قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلا اما لو صلى في

وسلم

وسلم في وقت اخر فانه يكون ممتثلا وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام
بمعنى الصلاة فلا تستعمل في الغايب ولا يفرد غير الانبيا فلا يقال علي عليه
السلام سوا في هذا الاحيا والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام
او عليكم السلام او السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة
بعض النساخ ان يفردوا عليا وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولوا عليه او عليها
السلام من دون ساير الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي
ان يساوي بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم
والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار اليه ابن كثير واما الصلاة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها واخرج البيهقي بسند واهي من حديث
بويع رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى انبيا الله واخرج اسماعيل
القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبيا الله واخرج
الطبراني من حديث ابن رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبيا الله فان الله
بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم
اخرجه ابن ابي شيبه من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلاة
ينبغي على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكى القول
به عن مالك وجا نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان
يصلى على نبي وعن بعض شيوخي مذهب احمد مالك لا يجوز ان يصلى على محمد
قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره الصلاة على غير الانبيا
وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا باس به واحتج
بان الصلاة دعا بالرحمة فلا تمنع الا بنص واجماع واما الصلاة على غير
الانبيا فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وال محمد
ونحوه فهذا جايز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبيا بالصلاة
عليهم فقال قايلون بجوازه لذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
وبقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله ابن ابي اوفى قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه
ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور
من العلما لا يجوز افراد غير الانبيا بالصلاة لان هذا قد صار شعارا للانبيا
اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال علي

صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان
عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب
والسنة على الدعا لهم ولهذا لم يثبت شعارا لال ابي اوفى وهذا مسلك حسن
وقال اخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبيا قد صارت من شعار اهل
الاهوا يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف
المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى
على ثلاثة اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذي عليه
الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه عليه الصلاة والسلام واله وقرابته واهل بيته وذريته

قال الطبري اعلم ان الله
تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه
من فضله الباهر وحباه اعلا بركته من ما انتمى اليه نسبا او نسبة ورفع من
انطوى عليه نصرة وصحبة والزم مودة قرباه كافة بريته وفرض محبة
جملة اهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في
القربى ويروى انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هولاء قال
علي وفاطمة وابناهما وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وقد اختلف في المراد باهل البيت في هذه الاية
فروى ابن ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نسا النبي صلى الله
عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت في نسا النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في الاية نص في دخول ازواجه صلى الله
عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الاية وسبب النزول داخل فيه قولا
واحدا اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح وقيل المراد النبي صلى الله عليه
وسلم وان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن ففي هذا نظر
وانه قد ورد في ذلك احاديث يدل على ان المراد اعم من ذلك فروى الامام احمد
عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا ومعه علي وحسن
وحسين اخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة فاجلسهما
بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه
او قال كساه ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

ويطهركم تطهيرا وقال اللهم ان هولاء اهل بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية
ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة
وانها من ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في
بيتها اذ جات فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك
وابنيك قالت فجا علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من تلك
الخزيرة وتحته كسا قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز وجل هذه الاية
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ
فضل الكسا فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السما ثم قال اللهم هولاء
اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت
راسي من البيت فقلت وانا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير
رواه احمد وفي اسناده من لم يسم وبقية اسناده ثقات وقوله وحامتي
بالتشديد اي خاصتي وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نزلت هذه الاية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه ابن جرير ورواه
احمد في المناقب والطبراني وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس
انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي عز وجل فاجيبه واني تارك
فيكم الثقلين اولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب
الله عز وجل وخذوا به وحث عليه ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم
الله عز وجل في اهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه
من اهل بيته قال بلى ان نساه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم
الصدقة بعده قال من هم قال هم ال علي وال جعفر وال عقيل وال العباس
قال كل هولاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم والثقل محركة كما في القاموس
كل شي نفيس مصون قال ومنه الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي
وهي بكسر المهملة وسكون المثناة الفوقية والاخذ بهذا الحديث احرى وليس
المراد باهل الازواج فقط بل هم مع اله ولا يشك من تدبر القران ان نسا
النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الاية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا
قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهذا اختيار
ابن عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم علي وفاطمة والحسن والحسين قال

قال وحجة الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنسا خاصة لكان
عنكن واجيب بان الخطاب بلفظ التذكير وقع على خلاف سبيل التغليب
فيكون المراد به كالمراد بالال في حديث كيفية الصلاة عليه السابق
ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع غيره قريبا في المقصد السابق
والله اعلم ولله در القايل

يا ال بيت رسول الله حبكم • فرض من الله في القران انزله •
يكفيكم من عظيم الفخر انكم • من لم يصل عليكم لا صلاة له •

واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث زيد بن ارقم السابق مرفوعا
بلفظ اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي
وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا
بما ذا تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قاله الجوهري اهله ونسله ورهطه
الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يا ايها
الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشي المحافظة
عليه يقول احفظوهم فلا توذوهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
كما في البخاري ايضا لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من ان
اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها
ما طلبته منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب
الايمان لانه عليه الصلاة والسلام شرط الاحبية فيه على النفس والمال
والولد كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم
اثبت لاقاربه ما اثبته لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم
وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ولقد احسن
القايل

رايت ولاي ال طه فريضة • على رغم اهل البعد يورثني القربى •
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى • بتبليغه الا المودة في القربى •

وفي الترمذي وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب
الله واحبوا اهل بيتي بحبي وفي المناقب لاحمد من ابغضنا اهل البيت
فهو منافق وروى ابن سعد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا فعجز
عن مكافاته في الدنيا فانا المكافي له في القيامة والمراد بالقرابة من ينتسب
الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم

وراه

وراه من ذكر وانثى وهم علي واولاده وهم عبد الله وعون ومحمد ويقال
انه كان لجعفر بن ابي طالب ابن اسمه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده
مسلم بن عقيل • وحمزة بن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة • وامامة
والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور العشرة وهم الفضل • وعبد الله
وقثم • وعبيد الله • والحارث • ومعبد • وعبد الرحمن • وكثير وعون
وتمام • وفيه يقول العباس رضي الله عنه تموا بتمام فصاروا عشرة
يا رب فاجعلهم كراما بررة • ويقال ان لكل منهم روية • وكان له من الاناث
ام حبيبة وامية وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومغيث ابن
ابي لهب والعباس بن ابي لهب وكان زوج امية بنت العباس وعبد الله
ابن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الاسود
وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث
والهند بن الحارث هذا رواية وكان يلقب ببة والموحدتين الثانية ثقيلة
واميمة واروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب اسلمت صفية
وصحبت وفي الباقيات خلاف والله اعلم وفي البخاري من حديث سعد
ابن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هرون
من موسى الا انه لا نبي بعدي وفي لفظ اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون
من موسى والباء زايدة وقال الطيبي معنى الحديث انت متصل بي نازل مني منزلة
هرون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي بعدي فعرف
ان الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة ولما كان
هرون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي
صلى الله عليه وسلم بحياته والله اعلم واما ما استدل به من هذا الحديث على استحقاق
علي للخلافة دون غيره من الصحابة فان هرون كان خليفة موسى فاجيب بان هرون
لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى باتفاق اشار
الى ذلك الخطابي واما حديث الترمذي والنساي من كنت مولاه فعلي مولاه
فقال الشافعي يعني بذلك ولا الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا
وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر اصبحت مولى كل مومن وطرق هذا الحديث
كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من اسانيدها صحاح وحسان
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من اذى عليا فقد اذاني اخرجه احمد واخرج
المخلص الذهبي من احب عليا فقد احبني وقد ذكر النقاش ان قوله تعالى ان الذين

[library stamp]

امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا نزل في علي وقال محمد
ابن الحنفية لا تجد مومنا الا وهو يحب عليا واهل بيته وقال ابو حيان
في البحر ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي
ابن يوسف الانصاري الشاطبي لزبينا بن اسحق النصراني الرسعني

عدي وتيم لا احاول ذكرهم ٭ بسوء ولكني محب لهاشم ٭
وما تعتريني في علي ورهطه ٭ اذا ذكروا في الله لومة لائم ٭
٭ يقولون ما بال النصارى تحبهم ٭ واهل النهى من اعرب واعاجم ٭
٭ فقلت لهم اني لاحسب حبهم ٭ سرى في قلوب الخلق حتى البهائم ٭

وقالت عائشة رضي الله عنها كانت فاطمة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزوجها علي احب الرجال اليه رواه الترمذي وفي البخاري ان فاطمة
بضعة مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الموحدة وحكي ضمها
وكسرها ايضا وبسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل به السهيلي على ان
من سبها فانه يكفر وفي الترمذي من حديث اسامة بن زيد وقال حسن
غريب انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني احبهما فاحبهما
واحب من يحبهما وخرجه مسلم من حديث ابي هريرة في الحسن خاصة وزاد
ابو حاتم فما كان احد احب الي من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال
وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال ما رايت الحسن بن علي
قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج يوما وانا في المسجد فاخذ بيدي واتكا علي حتى جينا سوق قينقاع
فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادع ابني قال فاتى الحسن بن علي
يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل
فمه في فمه ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات
وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه
وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة
رواه احمد وقال الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث غريب وليس المراد
بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب وتقدم
نحوه في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
في المقصد السادس وفي حديث ابي زهير بن الارقم رجل من الازد انه
صلى الله عليه وسلم قال في الحسن من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب

وفي

وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام يمص لسان
الحسن وشفته رواه احمد عن عقبة بن الحرث قال رايت ابا بكر وحمل الحسن
وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين
عن انس كان يعني الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما البخاري
وعنده من رواية الزهري عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه
وسلم من الحسن بن علي وهذا قد يعارضه قول علي في صفة النبي صلى الله عليه
وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمائل كما تقدم في
المقصد الثالث واجيب بان يحمل النفي على عموم الشبه والاثبات
على معظمه وقول انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن
ابن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عنه السابقة كان الحسين يعني
بالياء اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان يكون انس قال
ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لانه يومئذ كان اشد شبها
بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين واما ما وقع في رواية ابن سيرين
فكان بعد ذلك والمراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدى
الحسن ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها به في بعض اعضائه
فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هاني بن هاني عن علي قال الحسن
اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس الى الصدر والحسين
اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عدوا من كان
له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن ابي طالب
وقد قال عليه الصلاة والسلام لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وقال الترمذي
حديث حسن صحيح وابنه عبد الله ابن جعفر وقثم بن العباس بن عبد المطلب
وابو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ومسلم بن عقيل بن ابي طالب
ومن غير بني هاشم السايب بن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي
وعبد الله ابن عامر بن كرز بضم الكاف وفتح الرا وكابس بن ربيعة
رجل من اهل البصرة وجه اليه معاوية وقبل بين عينيه واقطعه
قطيعة وكان انس اذا راه بكى فهولاء عشرة ونظمهم شيخ الاسلام
الحافظ ابو الفضل ابن حجر فقال

شبه النبي لعشر سايب وابي ٭ سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه وابن عامرهم ٭ ومسلم كابس يتلوه مع قثما ٭

وعدهم بعضهم سبعة وعشرين وممن كان يشبهه ايضا فاطمة ابنته
وابراهيم ولده وولدا جعفر عبد الله السابق ذكره واخوه عون وكان يشبهه
ايضا من اهل البيت غير هولاء ابراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب
ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي وكان يقال
له الشبيه قال الشريف محمد بن اسعد النسابة في الزوره الانيسة لمشهد
السيد نفيسه انه كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمام
تشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام وراه الناس صلوا على النبي صلى الله عليه
وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا ولذا وصف بالشبيه والقاسم
ابن عبد الله ابن محمد بن عقيل بن ابي طالب وعلي بن علي بن عياد بن رفاعة
الرفاعي شيخ بصري من اتباع التابعين والمراد بالمشبه هنا الشبه في
البعض والا فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن التشريك كما قال
الابوصيري رحمه الله تعالى واجاد

منزه عن شريك في محاسنه ❊ فجوهر الحسن فيه غير منقسم ❊

كما اشرت اليه في اول المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الى ذلك
ذكر حمل الصديق للحسن على عاتقه المشعر للاكرام من افضل البشر بعد النبيين
لاهل البيت المحمدي وحملهم على الاعناق لا سيما مع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي فلما تضمن الحديث ذكر السبب
الكريم جر في الكلام اليه وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع بل في غالبه لكنه
لا يخلوا عن فوايد الفوايد وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد
المطلب مني وانا منه لا توذوا العباس فتوذوني من سب العباس فقد
سبني اخرجه البغوي في معجمه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا والذي
نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها
الناس من اذا عمي فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه رواه الترمذي
وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الاشارة
الى الايمان الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين المحبة والايمان ارتباط
من جهة ان المحبة ميل القلب الى المحبوب والايمان التصديق القلبي فمحلهما
في القلب وجعلهما متلازمين فيلزم من نفي احدهما نفي الاخر ثم علل
هذه المحبة بكونها لله ورسوله فلا عبرة لمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل
اذاه كاذى نفسه لانه عضوه وعصبه ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الاب

فكما

فكما انه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه فقال وان
عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الضاد المهملة وسكون النون اي مثل ابيه
قال ابن الاثير واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان اصل العباس
واصل ابي واحد انتهى وحلله عليه الصلاة والسلام وبنيه بكساء ثم قال
اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم
احفظه في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب وبين ابن السري في روايته
ان بنيه الذين حللوا بالكسا كانوا ستة الفضل وعبد الله وعبيد الله
وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سودا مخططة
بحمرة وقال اللهم ان هولاء اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كسترهم
بهذه الشملة قال فما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال لعقيل بن ابي طالب اني احبك حبين حبا لقرابتك
مني وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك قال الطبري اخرجه ابو عمر والبغوي
وروى الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين ابو سفيان بن
الحارث خير اهلي ومن خير اهلي واخرج الحاكم وصححه عن ابي سعيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله
النار واعلم انه قد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاولى آله
عليه الصلاة والسلام والثانية اهل بيته والثالثة ذو القربى والرابعة
عترته فاما الاولى فذهب قوم الى انهم هم اهل بيته وقال اخرون هم الذين
حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه
وتبعه فيه واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده
الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب او سبب
واما اللفظة الثالثة وهي ذوو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده
عن ابن عباس قال لما نزلت قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
قالوا يا رسول الله من هولاء الذين امرنا الله بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما
واما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما
العشيرة فهي الاهل الادنون واما الذرية فنسل الرجل فاولاد بنت
الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله
وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم فهذه
الذرية الطاهرة قد خصوا عنا بالتشريف وعموا بواسطة السيدة

النحف

فاطمة بفضل منيف • والسواد الشرف • ومنحوا مزيد الاكرام و

وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين

والجعافرة بالشطفة الخضرا لمزيد شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان المامون

اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارا اخضر

والبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار

سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والاحمر مختلف في كراهته والاصفر

شعار اليهود ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك

شعار الاشراف العلويين من الزهرا لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة

من ثوب اخضر توضع على عمايمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك الى اواخر

القرن الثامن قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبع مايه

من انبا الغمر بابنا العمر وفيها امر السلطان الاشراف ان يمتازوا

عن الناس بعصايب خضر على العمايم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرها

وفي ذلك يقول الاديب ابو عبد الله ابن جابر الاندلسي •

جعلوا لابناء الرسول علامة • ان العلامة شان من لم يشهر •

نور النبوة في كريم وجوههم • يغني الشريف عن الطراز الاخضر •

• وللاديب شمس الدين المزين الدمشقي • •

اطراف تيجان اتت من سندس • خضر باعلام على الاشراف •

والاشرف السلطان خصهم بها • شرفا ليفرقهم من الاطراف •

والاشرف هو شعبان بن حسن بن الناصر بن محمد بن قلاوون

فاما اصحابه رضوان الله عليهم فقال الله سبحانه وتعالى محمد رسول

الله والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم الى اخر السورة لما اخبر تعالى

ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب

فقال محمد رسول الله وهذا مبتدا وخبر وقال البيضاوي وغيره

جملة مبينة للمشهود به يعني قوله تعالى الذي ارسل رسوله بالهدى

الى وكفى بالله شهيدا قال ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر

محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة على كل وصف جميل ثم ثنى بالثنا

على اصحابه فقال والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم كما قال تعالى

فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة

على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة • والبر

بالاخيار

بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام لمن نظر اليهم اعجبه

سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك بلغني ان النصارى

كانوا اذا راوا الصحابة الذين فتحوا يقولون والله لهولاء خير من الحواريين

فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل

ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى هنا ذلك مثلهم في التوراة

ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي فراخه فازره اي شده وقواه

فاستغلظ شب فطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه

وحسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ازروه وايدوه

ونصروه فهم معه كالشطا مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية

انتزع الامام مالك رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون

الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه

على ذلك جماعة من العلما والاحاديث في فضايل الصحابة كثيرة ويكفي

ثنا الله تعالى عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما

ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا مبدل لكلماته وهو السميع العليم

ومن في قوله منهم لبيان الجنس واختلف في تعريف الصحابة

فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين واليه ذهب

البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب

النبي صلى الله عليه وسلم او راه ولو ساعة من نهار فهو من اصحابه انتهى

وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه او راه من الكفار ولو

اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه او راه مومنا به ثم

ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام كعبيد الله ابن جحش فانه ليس بصحابي

اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة بن امية بن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في

الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم

لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شي

اغضبه وقد اخرج له احمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله لم يقف على

قصة ارتداده فينبغي ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد

ثم عاد الى الاسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح

انه معدود من الصحابة لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه

ممن وقع له ذلك واخراجهم احاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ

زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة
ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى عنه انها انما تحبط
بشرط اتصالها بالموت وحينئذ فالظاهر انها محبطة للصحبة المتقدمة
اما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح
فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام وهل يشترط في
الرائي ان يكون بحيث يميز ما رآه ويكتفي بحصول مجرد الرؤية قال
الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة ما يدل على الثاني
فانهم ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسما
بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل ان يدخل مكة وذلك في اواخر
ذي القعدة سنة عشر من الهجرة • ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة
الا من صحب الصحبة العرفية وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد
في الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا
معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا القول ومنهم اشترط في ذلك
ان يكون حين اجتماعه بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي
ونحوه من احداث الصحابة واما التقييد بالرؤية فالمراد به عند المانع
منها فان كان كابن ام مكتوم الاعمى فهو صحابي جزما فالاحسن ان يعبر باللقي
بدل الرؤية قال الحافظ زين الدين العراقي وقولهم من راى النبي صلى الله عليه
وسلم هل المراد رآه في حال نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة
ومات قبل النبوة على دين الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده وقد ذكره في الصحابة ابو عبد الله
ابن منده • وكذلك لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة
واسلم ثم مات ولم يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل على ان المراد رآه
بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم
وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل
تختص جميع ذلك ببني ادم ام يعم غيرهم من العقلا محل نظر اما الجن فالراجح
دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة
والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وان كان
ابن الاثير عاب على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة واما الملائكة

فيتوقف

فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين
الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله
فيمن رآه في قيد الحياة الدنيوية اما من رآه بعد موته وقبل دفنه
فالراجح انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق انه راى جسده المكرم وهو
في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاوليا
عنه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه
في خصوصياته عليه الصلاة والسلام من المقصد الرابع اذ حجة من
اثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست
دنيوية وانما هي اخروية لا تتعلق بها احكام الدنيا واما من رآه في المنام
وان كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام
الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به
في تلك الحالة • وقد اجمع جمهور العلما من السلف والخلف على انهم خلق الله
وافضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين لما روى البخاري من
حديث عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله حديث عمران بن حصين خير امتي
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر
بعد قرنه مرتين او ثلاثا قال في فتح الباري والقرن اهل زمان
واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة
من الزمان • واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين
لكن لم ار من صرح بالتسعين • ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به
قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن
وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
الصحابة وتقدم في اول المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون
بني ادم وفي رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذي بعثت
فيهم وقد ضبطه الائمة من الحفاظ اخر من مات من الصحابة على الاطلاق
بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه
وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة
عشر ومائة وهو الذي صححه الذهبي وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم
قبل وفاته بشهر على راس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها

اليوم احد وفي رواية مسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة
تاتي عليها مائة سنة واما ما ذكر ان عكراش بن ذويب عاش بعد يوم الجمل
مائة سنة فذاك غير صحيح وان صح فمعناه انه استكمل المائة بعد الجمل
لا انه بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الائمة واما ما ذكر من امر بابا رتن
ونحوه فان ذلك لا يروج على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الائمة
واما اخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي فقد افردهم ابن منده واما
قوله ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين واقتضى هذا الحديث ان تكون
الصحابة افضل من التابعين والتابعون افضل من اتباع التابعين
لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع او الافراد والذي ذهب اليه
ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك في خصايص هذه الامة من المقصد
الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدري
اخره خير ام اوله قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد
يرتقي بها الى درجة الصحة وقد روى ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمن
ابن جبير بن نفير احد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا ولن
يخزي الله امة انا اولها والمسيح اخرها وروى ابو داود والترمذي
من حديث ابي ثعلبة رفعه ياتي ايام للعامل اجر خمسين قيل منهم
او منا يا رسول الله قال بل منكم وهو شاهد لحديث مثل امتي مثل المطر
لكن حديث للعامل منهم اجر خمسين منكم لا يدل على افضلية غير الصحابة
على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم ثبوت الافضلية المطلقة
وايضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل
فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة
فلا يعدله فيها احد ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه بامره او انفق
شيا من ماله بسببه لا يعدله احد في الفضل بعده كائنا من كان
قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم
درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع
المتلقى عنه وبلغه لمن بعده فحصل الفراغ بتمحض فيمن لم يحصل له الا اجر
المشاهدة وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن
تاويل الاحاديث المتقدمة ثم ان الصحابة على ثلاثة اصناف الاول

المهاجرون الثاني الانصار وهم الاوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم
الثالث من اسلم يوم الفتح قال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون
افضل وهذا على سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق
الانصار افضل من جماعة من متاخري المهاجرين واما سباق المهاجرين
افضل من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون فرب متاخر في الاسلام
افضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح وقد ذكر
العلما للصحابة ترتيبا على طبقات وممن قسمهم كذلك الحاكم في علوم الحديث
الطبقة الاولى قوم اسلموا بمكة اول البعث وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت
خويلد وعلي بن ابي طالب وابي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة
وقد تقدم الخلاف في اول من اسلم في المقصد الاول الطبقة الثانية
اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فاسلم لذلك جماعة من اهل مكة الطبقة
الثالثة الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من اذى المشركين اهل مكة
منهم جعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن عبد الاسد الطبقة الرابعة اصحاب
العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة • اسعد بن زرارة
وعوف بن مالك • ورافع بن مالك بن العجلاني • وقطبة بن عامر • وعقبة
ابن عامر بن نابي • وجابر بن عبد الله بن رئاب • وليس بجابر بن عبد الله بن
عمرو بن حرام • واصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر
وقد تقدمت اسما اهل العقبتين في المقصد الاول الطبقة الخامسة اصحاب
العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار منهم البراء بن معرور • وعبد الله
ابن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة • وسعد بن الربيع • وعبد الله بن رواحة
الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
بعد هجرته وهو بقبا قبل ان يبني المسجد وينتقل الى المدينة الطبقة السابعة
اهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم في قصة حاطب بن ابي بلتعة وما يدريك
لعل الله اطلع على هذه العصابة من اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
رواه مسلم الطبقة الثامنة الذين هاجروا بين بدر والحديبية الطبقة
التاسعة اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال
عليه السلام لا يدخل النار ان شا الله تعالى من اهل الشجرة احد رواه مسلم الطبقة
العاشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو

بن العاص

ومثل بعضهم بابي هريرة لكن قال الحافظ العراقي ولا يصح التمثيل به فانه هاجر قبل الحديبية عقيب خيبر بل في اواخرها الطبقة الحادية عشر الذين اسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير فمنهم من اسلم طائعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله اعلم بهم الطبقة الثانية عشر صبيان ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرها كالسائب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال **واما عن اصحابه عليه الصلاة والسلام** فمن رام حصر ذلك رام امرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم في اول البعثة الى ان مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري ان كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد ورد انه سار عام الفتح في عشرة الاف من المقاتلة والى حنين في اثني عشر الفا والى حجة الوداع في تسعين والى تبوك في سبعين الفا وقد روي انه قبض عن مائة الف واربعة وعشرين الفا والله العالم بحقيقة ذلك ثم ان افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بابي بكر احد ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا وقوله لا نعدل بابي بكر احدا اي لا نجعل له مثلا ولابي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وروى خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابن عمر كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وفي ذلك تقديم عثمان بعد ابي بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد عثمان وذهب بعض السلف الى تقديم علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل لا يفضل احدهما على الاخر ونقل ذلك عن مالك في المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان وقال ابن معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم وقد ادعى ابن عبد البر ان حديث الاقتصار على الثلاثة

ابي بكر

ابي بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل الناس بعد الثلاثة وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة بافضلية ابو بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف والمسئلة اجتهادية ومستندها ان هؤلاء الاربعة اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة وقال الامام ابو بكر منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعني طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة يعني نفسه **وعن** ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج الى المسجد فسال عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه ههنا فخرجت في اثره حتى دخل بئر اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضأ ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يات به فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذنك فقال ائذن له وبشره بالجنة فقلت ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر فرجعت فجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا

بات به فجا انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان
فقلت على رسلك وجيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ايذن له وبشره
بالجنة على بلوى تصيبه فجيت فقلت ادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك
بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملى فجلس وجاهه من الشق
الاخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم
واخرجه البخاري واخرج ابو داود نحوه عن ابى سلمة عن نافع عن عبد الحرث الخزاعي قال
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط المدينة فقال لبلال امسك على الباب
فجا ابو بكر يستاذن فذكر نحوه قال الطبراني وفى حديث نافع بن الحرث هو الذي كان
يستاذن وهذا يدل على تكرار القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عدم التعدد
وانها عن ابى موسى وهو القول بغيره وانشد لنفسه

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة • بجنات عدن كلهم فضله اشتهر •
سعيد زبير سعد طلحة عامر • ابو بكر عثمان ابن عوف على عمر •
ولابي الوليد ابن الشحنة •
اسما عشر رسول الله بشرهم • بجنة الخلد عمن زانها وعمر •
سعد سعيد على عثمان طلحة ابو • بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر •

فان قلت من اعتقد في الخلفا الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن
محبته لبعضهم تكون اكثر هل يكون اثما به ام لا **اجاب** شيخ الاسلام الولي بن العراقي
ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية
فمن كان افضل كانت محبته الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل
ثم احببنا غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل
اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك
ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم
ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على لكنه احب عليا اكثر من ابي بكر مثلا فان كانت المحبة
المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه
وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه
احبه محبة دينية زايدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة
محبة دنيوية لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله
اعلم انتهى وقد روى الطبراني في الرياض وعزاه للملا في سيرته عن انس مرفوعا
ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم

والحج

والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج واخرج
الحافظ السلفي في مشيخته من حديث انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي
واخرج الانصاري عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت انى لقيت
اخواني الذين لم يروني وصدقوني واحبوني حتى اني لاحب اليّ احدهم من ولده ووالده
قالوا يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك
بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه الرسول عليه الصلاة
والسلام كال بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ان محبته عليه الصلاة والسلام علامة محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم
وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيا احب من يحبه وابغض من يبغضه قال الله
تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله فحب
ال محمد بيته صلى الله عليه وسلم واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات المتعينات
وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم
والاقتدا بهم بان تمشي على سننهم واداهم واخلاقهم والعمل باقوالهم مما ليس للعقل
فيه مجال وحسن الثنا عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد
اثنى الله تعالى عليهم في الكتاب المجيد ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثنا والاستغفار
لهم قالت عايشة امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم
رواه مسلم وغيره وفايدة المستغفر لهم عايدة عليه **قال** سهل بن عبد الله التستري
لم يومن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعزز اوامره ومما يجب
ايضا الامساك عما شجر بينهم اي وقع بينهم من الاختلاف والاضراب عن اخبار
المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم قال
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا وان يلتمس لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم
من الفتن احسن التاويلات وتخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك كما هو
مشهور في مناقبهم ومعدود من ماثرهم مما يطول ايراد بعضه وما وقع بينهم
من المنازعات والمحاربات فله محامل وتاويلات فسبهم والطعن فيهم اذا كان مما
يخالف الادلة القطعية ككفر كقذف عايشة رضي الله عنها وعن ابيها والا فبدعة
وفسق قال عليه الصلاة والسلام يا ايها الناس احفظوني في احبابي واصهاري
واصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعي وقال
عليه الصلاة والسلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي من احبهم فقد
احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن

اذى الله فيوشك ان ياخذه رواه المخلص الذهبي وهذا الحديث كما قاله بعضهم خرج مخرج
الوصية باصحابه على طريق التاكيد والترغيب في حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه
اشارة الى ان حبهم من الايمان وبغضهم كفر لانه اذا كان بغضهم ببغضه له كان كفرا
بلا نزاع للحديث السابق لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال
قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم واقع عليه وواصل اليه صلى الله عليه
وسلم والغرض الهدف الذي يرمى فهو نهي عن رميهم موكد اذلك يحذيرهم الله منه وما
ذاك الا لشدة الحرمة وروي مرفوعا من سب احدا من اصحابي فاجلده رواه تمام
في فوايده وقال مالك بن انس وغيره فيما ذكره القاضي عياض من ابغض الصحابة فليس
له في فيء المسلمين حق قال ونزع باية الحشر والذين جاوا من بعدهم

المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرويا وانبايه بالانباء المغيبات

اعلم انه لا سبيل لاحد الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفه
او قطرة مما افاضه الله تعالى عليه من سحايب عوارفه وانت اذا تاملت ما منحه
الله تعالى به من جوامع الكلم • وخصه من بدايع الحكم • وحسن سيره وحكم حديثه
وانباه بانبا القرون السالفة والامم البايدة والشرايع الداثرة كقصص الانبيا
مع قومهم • وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته واصحاب الكهف وذي القرنين
واشباه ذلك وبدء الخلق واخبار الدار الاخرة وما في التوراة والانجيل والزبور
وصحف ابراهيم وموسى واظهار احوال الانبيا واممهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلما
بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكرنا بل اذعنوا لذلك فضلا عما افاضه من العلم
ومحاسن الادب والشيم • والمواعظ والحكم • والتنبيه على طرق الحج العقليات • والرد
على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحات • الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه
فيها قدوة • واشاراته حجة كاللغة • والمعاني • والبيان • والعربية • وقوانين
الاحكام الشرعية • والسياسات العقلية • ومعارف عوارف الحقايق القلبية
الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح امته كالطب
والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا تحد قضيت بان مجال هذا الباب
في حقه عليه الصلاة والسلام ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وان بحر علمه
ومعارفه زاخر لا تكدره الدلا • وهذا المقصد اعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الاول في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض

والعاهات اعلم انه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض
من اصحابه حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك
وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وكان يهوديا كما روى البخاري وابو داود
من حديث انس ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض
فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقعد عند راسه فقال اسلم فنظر
الى ابيه وهو عنده فقال اطع ابا القاسم فاسلم فخرج صلى الله عليه وسلم
وهو يقول الحمد لله الذي انقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنوا
من المريض ويجلس عند راسه ويسال عن حاله ويقول كيف تجدك في حديث
جابر عند البخاري ومسلم والترمذي وابي داود قال مرضت فاتاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا
النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله
عليه وسلم وعند ابي داود فنفخ في وجهي فافقت وفيه انه صلى الله عليه
وسلم قال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وفي حديث ابي موسى عند
البخاري مرفوعا اطعموا الجايع وعودوا المرضى وفكوا العاني وعن
من رواية البرا امرنا صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة المريض
وعند مسلم خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها منها قال ابن بطال يحتمل
ان يكون الامر على الوجوب بمعنى الكفاية كاطعام الجايع وفك الاسير
ويحتمل ان يكون للندب على التواصل والالفة عن الطبري متاكد في حق من
ترجى بركته وتسن فيمن يراعي حاله ويباح فيما عدا ذلك وهو فرض كفاية
عند الحنفية كما قاله ابو الليث السمرقندي في مقدمته واستدل بعموم قوله
عودوا المريض على مشروعية العيادة في كل مرض لكن استثنى بعضهم الارمد
لكون عايده يرى ما لا يراه هو ورد بانه قد جاء في عيادة الارمد بخصوصها
حديث زيد بن ارقم قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان
بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم واما ما اخرجه البيهقي والطبراني
مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي
انه موقوف على يحيى بن ابي كثير ويوخذ من اطلاقه ايضا عدم التقييد
بزمان يمضي من ابتدا مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي في الاحياء
بانه لا يعاد الا بعد ثلاث واستند الى حديث اخرجه ابن ماجة عن
انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاثة وهذا

حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال ابو حاتم هو حديث
باطل ولا نطيل بايراد ما ورد في فضل العيادة ويكفي حديث ابي هريرة مما حسنه
الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد من السما طبت وطاب ممشاك
وتبوات من الجنة منزلا وهذا لفظ ابن ماجة وفي سنن ابي داود عن انس مرفوعا
من توضا فاحسن الوضو وعاد اخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة
سبعين خريفا • وفي حديث ابي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن
في يوم كتبه الله من اهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح
الى الجمعة واعتق رقبة • وعند احمد عن كعب مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة
فاذا جلس عنده استنقع عنده فيها زاد الطبرانيي واذا قام من عنده فلا يزال يخوض
فيها حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص يوما
من الايام بعيادة المريض ولا وقتا من الاوقات وترك العيادة يوم السبت
مخالفة للسنة ابتدعه يهودي طبيب لملك قد مرض والزمه ملازمته فاراد يوم
الجمعة ان يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له
المريض لا يدخل عليه في يوم السبت فتركه الملك ثم اشيع ذلك وصار كثير من الناس
يعتمده ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي ان العيادة تستحب في الشتا
ليلا وفي الصيف نهارا ولعل الحكمة في ذلك ان المريض يتضرر بطول الليل في الشتا
وبطول النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة استرواح وينبغي اجتناب التطبب
باعدا الدين من يهودي ونحوه فانه مقطوع بغشه سيما ان كان المريض مميزا في دينه
او علمه خصوصا ان كان هذا العدو يهوديا الان قلت دينهم ان من نصح منهم مسلما
فقد خرج عن دينه وان من استحل اليهودي فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك
دمه ولا ريب ان من جاصل بنفسه تخشى عليه ان يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه
بشي وقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل الذمة فلا حول ولا قوة الا بالله والله تعالى
يرحم القايل لعن النصارى واليهود فانهم • بلغوا بمكرهم بنا الامالا •
خرجوا اطبا وحسابا لكي • يتقسموا الارواح والاموالا •
ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويامر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم
ففي حديث ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له
في اجله فان ذلك يطيب نفسه يريد مثل ان يقول له لا باس عليك طهور ان شا الله
ووجهك الان حسن وما اشبه ذلك وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجور الداخلة
في مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه وامن من خوف زلل ونحوه وقال

بعضهم في هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد
الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة
وينبعث به الحار الغريزي ويساعد على دفع العلة وتخفيفها الذي هو غاية تاثير
الطبيب • وفي تفريج نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تاثير
عجيب في شفا علته وخفتها • فان الارواح والقوى تتقوى بذلك فتساعد الطبيعة
على دفع المؤذي • وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من
يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم له ولطفهم بهم ومكالمتهم اياهم قال في الهدي وكان
صلى الله عليه وسلم يسال المريض عن شكواه وكيف يجد وما يشتهيه فان اشتهى
شيا وعلم انه لا يضره امر له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه
ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضا وصب على المريض من وضوئه
كما في حديث جابر المتقدم • وربما كان يقول للمريض لا باس عليك طهور ان شا
الله • وربما كان يقول كفارة وطهور • وقالت عايشة كان صلى الله عليه وسلم
اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يالم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى
بسند صحيح • واخرج الترمذي من حديث ابي امامة بسند لين رفعه تمام
عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته فيساله كيف هو وعند ابن
السني بلفظ كيف اصبحت او كيف امسيت • واذا علمت هذا فاعلم ان
المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان فاما مرض القلوب
ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل
الى حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها
وباسمايه وصفاته وافعاله واحكامه • وان تكون موثرة لرضاه ومحابه
متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا
سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب
الاجسام فمنه ما جا في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جا عن
غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته
ومعرفا بالله ومبينا للامة مواقع رضاه وامرا لهم بها ومواقع سخطه
وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبيا والرسل واحوالهم مع اممهم
واخبار تخليق العالم وامر المبدا والمعاد • وكيفية شقاوة النفوس
وسعادتها واسباب ذلك واما طب الاجساد فجا من تكميل شريعته
ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل للحاجة اليه فاذا قدر الاستغنا عنه

كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها
مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد
البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زايلة يعقبها
المنفعة الدايمة التامة • واذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب
كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر • وهل في الدنيا
والاخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الاثار
القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا
الله تعالى فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية
تطفئ ذلك النور وللامام الشافعي رضي الله تعالى عنه •
شكوت الى وكيع سوء حفظي • فارشدني الى ترك المعاصي •
وقال اعلم بان العلم نور • ونور الله لا يؤتاه عاصي •
ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله تعالى لا يوازنها
ولا يقارنها لذة اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا
دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها
كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى
يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر وتقوى هذه الظلمة
حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن
ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة ولا يمتنع زيادة العمر
باسباب كما ينقص باسباب • وقيل تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان
حقيقة الحياة هي حياة القلب فليس عمر القلب الا اوقات حياته بالله فتلك
ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة
عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي
ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان المعصية تورث الذل ومنها
انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة
الا بذنب فما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقد احسن القايل
• اذا كنت في نعمة فارعها • فان الذنوب تزيل النعم •
• وحطها بطاعة رب العباد • فرب العباد سريع النقم •
ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي

امراض

امراض متى استحكمت قتلت ولا بد • وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذا يحفظ صحته
وقوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه افسدته
وحمية تمنع له من تناول ما يوذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا يتم حياته
الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة يحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ
المواد الفاسدة والاخلاط الردية وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما
يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول
لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره • واذا تبين هذا
فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتوجب
التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل
قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض ولا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف
يكون صحته وبقاؤه وقد احسن القايل
• جسمك بالحمية حصنته • مخافة من الم طاري •
• وكان اولى بك ان تحتمي • عن المعاصي خشية الباري •
فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ
التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفي حديث انس
الا ادلكم على دائكم ودوائكم داؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار فقد
ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول
صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي واما طب الاجساد فغالبه يرجع الى
التجربة ثم هو نوعان لا تحتاج الى فكر وتطويل فطر الله على معرفته الحيوانات
مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة
طبيب • ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه
عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة
او الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من
خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما • والطريق الى معرفته تحقيق
السبب والعلامة فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن
جمعه او عكسه وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته او عكسه ومدار ذلك على
ثلاثة اشيا حفظ الصحة والاحتما عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة
وقد اشير الى الثلاثة في القران • فالاول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات

الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض • والثاني
وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند
خوف استعمال الما البارد وقال تعالى في اية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر
او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا
فاباح للمريض العدول عن الما الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يوذيه
وهو تنبيه على الحمية عن كل موذ له من داخل او خارج • والثالث من قوله تعالى
او به اذى من راسه ففدية فانه اشير بذلك الى جواز حلق الراس الذي منع منه
المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الراس تحت الشعر لانه
اذا حلق راسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس
عليه كل استفراغ يوذي احتباسه فقد ارشد الله تعالى عباده الى اصول الطب
الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث عطا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله دا الا انزل له شفا فتداووا وعند
احمد من حديث انس ان الله حيث خلق الدا خلق الدوا فتداووا وعند البخاري في
الادب المفرد واحمد واصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم
عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان الله لم يضع دا الا وضع
له شفا الا دا واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام وهو بمهملة مخففة الموت
يعني الا دا الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثنا الهرم في الرواية
الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او القربة من الموت
وافضاوه اليه • ويحتمل ان يكون الاستثنا منقطعا والتقدير لكن الهرم لا
دوا له • ولابي داود عن ابي الدردا رفعه ان الله جعل لكل دا دوا فتداووا
ولا تتداووا بحرام • وفي البخاري ان الله تعالى لم يجعل شفاكم فيما حرم عليكم فلا
يجوز التداوي بالحرام وروى مسلم عن جابر مرفوعا لكل دا دوا • فاذا اصيب
دوا الدا برا باذن الله تعالى فالشفا متوقف على اصابة الدوا الدا باذن الله
تعالى وذلك ان الدوا قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية فلا ينجع
بل ربما احدث دا اخر وفي رواية عند الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت
ما من دا الا وله دوا فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله
بين الدا والدوا فكلما شرب المريض من الدوا لم يقع على الدا فاذا اراد الله برءه
امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدوا فينفعه الله به وفي حديث
ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل دا الا انزل له شفا علمه من علمه وجهله

من

من جهله رواه ابو نعيم وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها
كل احد واما قوله لكل دا دوا فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادوا
القاتلة والادوا التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله تعالى قد جعل لها ادوية
تبريها لكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليه سبيلا • لانه لا علم للخلق الا ما علمهم
الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفا على مصادفة الدوا للدا • وقد يتفق لبعض
المرضى انه يتداوى من دايه بدوا فيبرى ثم يعتريه بعد ذلك الدا بعينه فلا ينجع
والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدوا فرب مرضين تشابها ويكون
احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطا من هناك وقد يكون
متحدا لكن يريد الله تعالى ان لا ينجع وهنا تخضع رقاب الاطبا وفي مجموع ما ذكرناه
من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه
دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب • وكذلك تجنب المهلكات والدعا بطلب
الشفا ودفع المضار وغير ذلك • وقد سيل الحارث بن عبد الله بن اسد المحاسبي
في كتاب القصد من تاليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من
وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق ولا سبقه في التوكل سابق
محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم
من استرقى واكتوى بري من التوكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث اخر
فقال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب واما سواهم من
المتوكلين فمباح لهم الدوا والاسترقا • فجعل المحاسبي التوكل بعضه افضل من بعض
وقال في التمهيد وانما اراد بقوله بري من التوكل اذا استرقى الرقا المكروهة في الشريعة
او اكتوى وهو يعلق رغبته في الشفا بوجود الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقا
المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى
وان الشفا من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جا في الشريعة وكان ناظرا الى رب
الدوا وتوقع الشفا من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذ امره الله تعالى
وانعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه الدوا
شيا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذ عمل بذلك في نفسه وغيره انتهى وقد
تبين ان التداوي لا ينافي التوكل بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب
التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح
في التوكل نفسه كما يقدح في الامر والحكمة • وحكى ابن القيم انه ورد في خبر
اسرايلي ان الخليل عليه الصلاة والسلام قال يا رب مم الدا قال مني قال فمن

الدوا قال المعنى قاد فما بال الطبيب قال رجل ارسل الدوا على يديه قال وفي قوله
صلى الله عليه وسلم لكل داء دوا تقوية لنفس المريض دوا يزيله والطبيب وحث
على طلب ذلك الدوا والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان لدائه
دوا يزيله تعلق قلبه بروح الرجا وبرد من حرارة الياس وانفتح له باب الرجا
وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الارواح
الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى
التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى **فان قلت** ما المراد بالانزال
في قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث السابقة الا انزل الله له دوا وفي
الرواية الاخرى شفا **فالجواب** انه يحتمل ان يكون عبر بالانزال عن
التقدير ويحتمل ان يكون المراد انزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم
واين يقع طب حذاق الاطبا الذي غايته ان يكون ماخوذا من قياس او
منامات وحدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى الى رسوله صلى
الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره • فنسبة ما عند حذاق الاطبا من
الطب الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم
بل ههنا من الادوية التي تشفي من الامراض ما لم يهتد اليها عقول اكابر
الاطبا ولم تصل اليها علومهم وتجربتهم واقيستهم من الادوية القلبية
والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانكسار
بين يديه والصدقة والصلاة والدعا والتوبة والاستغفار والاحسان
الى الخلق والتفريج عن المكروب • فان هذه الادوية قد جربتها الامم على
اختلاف اديانها ومللها فوجدوا لها من التاثير في الشفا ما لا يصل اليه
علم اعلم الاطبا وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل ما لا تفعله الادوية
الحسية ولا ريب ان طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن
الوحي ومشكاة النبوة وطب غيره اكثره حدس وتجربة وقد يتخلف الشفا
عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاده
الشفا وتلقيه بالقبول واظهر الامثلة في ذلك القران الذي هو شفا لما في
الصدور ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفا صدره به لقصوره
في اعتقاده والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه ومرضا
الى مرضه وطب النبوة لا يناسب الا طب الابدان الطيبة كما ان شفا القران
لا يناسب الا الارواح الطيبة والقلوب الحية فاعراض الناس عن طب

النبوة كاعراضهم عن الاستشفا بالقران الذي هو الشفا النافع **وكان**
علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض على ثلاثة انواع **احدها** بالادوية الالهية الروحانية
والثاني بالادوية الطبيعية **والثالث** بالمركب من الامرين **النوع الاول**
في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الالهية اعلم ان الله تعالى لم ينزل من
السما شفا قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الدا من القران
فهو للدا شفا ولصدا القلوب جلا كما قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا
ورحمة للمومنين ولفظة من كما قال الامام فخر الدين ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى
وننزل من هذا الجنس الذي هو القران شفا من الامراض الروحانية وشفا ايضا
من الامراض الجسمانية اما كونه شفا من الامراض الروحانية فظاهر وذلك
لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات الباطلة واشدها فساد الاعتقادات
الفاسدة في الالهية والنبوات والمعاد والقضا والقدر والقران مشتمل على
دلايل المذهب الحق في هذه المطالب مشتمل على الدلايل الكاشفة عما في هذه المذاهب
الباطلة من العيوب لا جرم كان القران شفا من هذا النوع من المرض الروحاني
واما الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على تفصيلها وتعريفها وما فيها من
المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال المحمودة فكان القران
شفا من هذا النوع من المرض • فثبت ان القران شفا من جميع الامراض
الروحانية **واما** كونه شفا من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع
كثيرا من الامراض واذا اعترف الجمهور من الفلاسفة واصحاب الطلسمات
بان لقراءة الرقى المجهولة والعزايم التي لا تفهم اثارا عظيمة في تحصيل المنافع
ودفع المفاسد فلان تكون قراءة القران العظيم المشتمل على ذكر جلال الله تعالى
وكبريايه وتعظيم الملايكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول
النفع في الدين والدنيا اولى ويتايد ما ذكرناه بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ونقل عن الشيخ ابي القاسم القشيري
رحمه الله ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف منه على الموت واشتد عليه الامر
قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت اليه ما بولدي فقال اين انت
من ايات الشفا فانتبهت فافكرت فيها فاذا هي في ستة مواضع من كتاب
الله تعالى وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مومنين وشفا لما في الصدور
يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس وننزل من القران ما هو
شفا ورحمة للمومنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا هدى وشفا

قال فكتبتها ثم حللتها بالما وسقيته اياها فكانما نشط من عقال وكما قال
وانظر رقية اللديغ بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع وتامل
قوله عليه الصلاة والسلام في بعض ادعيته وان تجعل القران ربيع قلبي وشفا صدري
اي فيكون له بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد البدن الي صحته واعتداله
وفي حديث علي عند ابن ماجة مرفوعا خير الدوا القران وههنا امر ينبغي
ان يتفطن له نبه عليه ابن القيم وهو ان الايات والاذكار والادعية
التي يستشفى بها ويرقى لما هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول
المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان لضعف تاثير
الفاعل ولعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا
كما يكون ذلك في الادوية والادوا الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون
لعدم قبول الطبيعة لذلك الدوا وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضايه اثره
فان الطبيعة اذا اخذت الدوا بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب
ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقا والتعا وبذ بقبول تام وكان
الدوا في نفس فعالة وهمة موثرة اثر في ازالة الدا وكذلك الدعا فانه
من اقوي الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد تخلف اثره
عنه اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا لا يحبه الله لما فيه من العدوان
واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعا اما
لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب
واستيلا الغفلة والسهو واللهو وقد روي الحاكم حديث واعلموا ان الله
لا يقبل دعا من قلب غافل لاه ومن انفع الادوية الدعا وهو عدو البلا يدافعه
ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المومن
واذا جمع الدعا حضور القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف
وقت من اوقات كثلث الليل الاخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع
واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداة بالحمد والثنا على الله تعالى
والصلاة والتسليم على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة والح
في المسالة واكثار التملق والدعا والتوسل اليه باسمايه وصفاته والتوجه اليه
بنبيه صلى الله عليه وسلم فان هذا الدعا لا يكاد يرد ابدا لا سيما ان دعا بالادعية
التي اخبر صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة او انها متضمنة للاسم الاعظم
ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجا اليه في كل ما ينوب الانسان

واما

واما الرقى فاعلم ان الرقا بالمعوذات وغيرها من اسما الله تعالى هو الطب
الروحاني واذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفا باذن الله تعالى لكن
لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وفي البخاري من حديث عايشة
انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات
وهي الفلق والناس والاخلاص فيكون من باب التغليب او المراد الفلق والناس
وكذلك كلما ورد من التعويذ في القران كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين واما ما اخرجه احمد وابو داود والنساي من حديث ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها الرقا الا بالمعوذات
ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته
فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما حديث ابي سعيد عند النساي كان
صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات
فاخذ بها وترك ما سواها وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع من التعوذ بغيرها من
السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما اجتزا
بهما لما اشتملت عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا
وقد اجمع العلما على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان يكون بكلام
الله تعالى او باسمايه وصفاته وباللسان العربي او بما يعرف معناه من غيره
وان يعتقد ان الرقية لا توثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا
في كونها شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث عوف
ابن مالك كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال
اعرضوا على رقاكم لا باس بالرقا اذا لم يكن فيه شرك وله من حديث
جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقا فجا ال عمرو بن حزم فقالوا
يا رسول الله انه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب قال فعرضوا
عليه فقال ما ارى باسا من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه وقد
تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل له
معنا لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى تودي الى الشرك يمنع
وما لا يعقل معناه لا يومن ان يودي الى الشرك فيمنع احتياطا والشرط
الاخير لا بد منه وقال قوم لا تجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث
عمران بن حصين لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى
الحصر فيه انهما اصل كل ما تحتاج الى الرقية فيلتحق بالعين جواز رقية

من به خبل او مس ونحو ذلك لاشتراكهما في كونهما ينشآن عن احوال
شيطان من انس وجن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه
من المواد السمية وقد وقع عند ابي داود من حديث انس مثل حديث
عمران وزاد او دم وفي مسلم من حديث مسلم ايضا رخص رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الرقى من العين والحمة والنملة وفي حديث اخو الاذن ولابي
داود من حديث الشفا بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا
تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره
من الجسد وقيل المراد بالحصر يعني الافضل اي لا رقية انفع كما قيل
لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم المنهي عنه من الرقى ما يكون
قبل وقوع البلاء والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد
البر والبيهقي وغيرهما وروى ابو داود وابن ماجة وصححه الحاكم عن ابن
مسعود رفعه ان الرقى والتمايم والتولة شرك والتمايم جمع تميمة وهي
خرز او قلادة تعلق في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك
يدفع الآفات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت
المراة تستجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك
لانهم اعتقدوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في
ذلك ما كان باسماء الله وكلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك
قبل وقوعه كما سيأتي ان شاء الله تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله
تعالى والالتجاء اليه سبحانه في كل ما وقع وما يتوقع وقال بعضهم المنهي عنه
من الرقى هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي بامور
مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذلك ذكر الله تعالى واسمايه ما يشوبه
ذكر الجن والشياطين والاستغاثة بهم والتعوذ بمردتهم ويقال ان
الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني آدم
فاذا عزم على الحية باسماء الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذا
اللديغ اذا رقي بتلك الاسماء سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك
كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله تعالى وباسمايه خاصة وباللسان العربي
الذي يعرف معناه ليكون بريا من مشوب الشرك وعلى كراهة الرقى
بغير كتاب الله تعالى علماء الامة وقال القرطبي الرقى ثلاثة اقسام
احدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه

لئلا يكون فيه شرك او يودي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله تعالى او
باسمايه فيجوز فان كان ماثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله
من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب
اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى به والتبرك باسمايه
فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي ان يجتنب
كالحلف بغير الله تعالى وقال الربيع سالت الشافعي عن الرقية فقال
لا باس ان ترقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله قلت ايرقي اهل
الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وذكر الله تعالى
انتهى وفي الموطأ ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عايشة ارقيها
بكتاب الله قال النووي وقال القاضي عياض واختلف
قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم وبالجواز قال الشافعي
والله اعلم وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية بالحديدة والملح
وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر
الناس القديم **رقية الذي يصاب بالعين** روى مسلم عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر
لسبقته العين اي الاصابة بالعين شيء ثابت موجود وهو من جملة ما
تحقق كونه قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوايف
من المبتدعة لغير معنى لان كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يودي الى قلب
حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع
بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم
ما تخبر به من امور الاخرة وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال
كيف تعمل العين من بعد حتى تحصل الضرر للمعيون واجيب بان
طبايع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين
في الهوى الى بدن المعيون وقد نقل عن بعض من كان معينا انه قال
اذا رايت شيا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمراة
الحايض تضع يدها في اناء اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد
ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين الرمداء فيرمد وقال المازري
زعم بعض الطبايعيين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل
بالمعين فتهلك او تفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعي واشار

الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة اهل السنة ان العين
انما تضر عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان تحدث الضرر عند
مقابلة شخص اخر وهل ثم جواهر حقيقة ولا هو امر محتمل لا يقطع باثباته
ولا نفيه وممن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب الطبايع بالقطع بان جواهر
لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه
فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطا
بدعوى القطع ولكنه جايز ان يكون عادة ليس ضرورة ولا طبيعة انتهى
وهو كلام سديد وليس المراد بالتاثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة
بل ما اجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار بسند
عن جابر رفعه اكثر من يموت بعد قضا الله وقدره بالنفس **قال** الراوي يعني
العين وقد اجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام
والارواح كما تحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة
شديدة لم تكن قبل ذلك وكذا الاصفرار عند روية من يخافه وكثير من الناس
يسقم بمجرد النظر اليه وتضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في
الارواح من التاثيرات لشدة ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وانما
التاثير للروح والارواح مختلفة في طبايعها وكيفياتها وخواصها فمنها
ما يوثر في البدن بمجرد الروية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها
الخبيثة والحاصل ان التاثير بارادة الله تعالى وخلقه ليس مقصورا على الاتصال
الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة واخرى بمجرد الروية واخرى بتوجه
الروح كالذي يحدث من الادعية والرقا والالتجا الى الله تعالى وتارة يقع ذلك بالتوهم
والتخيل فالذي يخرج من عين العاين سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية
له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي سوا انتهى
ملخصا من فتح الباري وغيره **قال** ابن القيم والغرض العلاج النبوي لهذه العلة
فمن التعوذات والرقا الاكثار من قراة المعوذتين والفاتحة واية الكرسي
ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة ونحو اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرا ومن شر ما ينزل من السما ومن شر ما يعرج
فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل
والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن واذا كان

تخشى

تخشى ضرر عينه واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال
صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف الا بركت عليه **ومما**
يدفع به اصابة العين قول ما شا الله لا قوة الا بالله **ومنها** رقية جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك من شر كل نفس
او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وعنده ايضا من حديث عايشة
كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل
داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين واخرج مسلم
من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته العين
واذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر للوجوب وحكى المازري فيه خلافا
وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان اغتسال العاين مما جرت العادة بالشفا
فانه يتعين وقد تقرر انه يجبر على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ولم يبين في حديث
ابن عباس صفة الاغتسال قال الحافظ ابن حجر وقد وقعت في حديث سهل
ابن حنيف عند احمد والنساي ان اباه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا
معه نحو ماحتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان
ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال ما رايت كاليوم
ولا جلد مخباة فلبط سهل اي صرع وسقط الى الارض فاتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من احد قالوا عامر بن ربيعة فدعا عامرا فتغيظ
عليه فقال علام يقتل الرجل اخاه هلا اذا رايت ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل له
فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح
ثم صب ذلك الما عليه رجل من خلفه على راسه وظهره ثم كفي القدح ففعل ذلك
فراح سهل مع الناس ليس به باس **قال** المازري المراد بداخلة ازاره الطرف
المتدلي الذي يلي حقوه الايمن قال وظن بعضهم انه كناية عن الفرج انتهى وزاد
القاضي عياض ان المراد ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع الازار من الجسد
وقيل اراد وركه لانه معقد الازار **ورايت** مما عزي لخط شيخنا الحافظ
ابي الخير السخاوي قال ابن بكير رواية عن مالك انه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد
وقال ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته عين من
احد جا الى العاين بقدح فيه ما فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم
يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل اليمنى
فيصب على يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل

ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه
اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على
ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخل ازاره ولا يوضع
القدح بالارض ثم يصب ذلك الما المستعمل على راس المصاب بالعين من خلفه صبة
واحدة فيبرا باذن الله تعالى انتهى وقال المازري وهذا المعنى مما يمكن تعليله ومعرفة
وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي ان توقف فيه
متشرع قلنا له قل الله ورسوله اعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة
او متفلسف فالرد عليه اظهر لان عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد تفعل
لمعنى لا يدركه ويسمون ما هذا سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج ذلك
والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكره البغوي
في كتاب شرح السنة ان عثمان بن عفان راى صبيا مليحا فقال دسموا نونته
لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا نونته اي سودوا نونته
والنونة النقرة التي تكون في ذقن الصغير وذكر عن عبد الله الساجي انه كان في بعض
اسفاره للحج او الغزو على ناقة فارهة فكان في الرفقة رجل عاين قل ما نظر الى شي الا
اتلفه فقيل لابي عبد الله احفظ ناقتك من العاين فقال ليس له الى ناقتي سبيل
فاخبر العاين بقوله فتحين غيبة ابي عبد الله فجا الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت
وسقطت فجا ابو عبد الله فاخبر ان العاين قد عانها وهي كما ترى فقال
دلوني عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت
عين العاين عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير فخرجت حدقتا
العاين وقامت الناقة لا باس بها انتهى وفي حديث هذا الباب من الفوايد
ان العاين اذا عرف يقضي عليه بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة
وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل
الصالح وان الذي يعجبه الشي يبادر الى الدعا للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية
منه وان الاصابة بالعين قد تقتل وقد اختلف في جريان القصاص بذلك
فقال القرطبي لو اتلف العاين شيا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص او الدية
اذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله
كفرا انتهى ولم تتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه وقالوا انه
لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووي في الروضة ولا دية فيه ولا

كفارة

كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس
وبعض الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته
حسد وتمني لزوال النعمة وايضا فالذي ينشا عن الاصابة بالعين حصول
مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه في زوال الحياة فقد يحصل له
مكروه بغير ذلك من اثر العين انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يعكر عليه
الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناه والفرق بينهما عسر ونقل ابن
بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العاين اذا عرف بذلك
من مداخلة الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به
فان ضرره اشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس
واشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع اكله من حضور الجماعة قال
النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه ذكر رقيته
صلى الله عليه وسلم التي كان يرقي بها عن عبد العزيز قال دخلت انا
وثابت على انس فقال ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا ارقيك
برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم رب الناس
مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفا لا يغادر سقما
رواه البخاري قوله اذهب الناس بغير همز للمواخاة واصله الهمز وفي
قوله لا شافي الا انت اشارة الى ان كل ما يقع من الدوا والتداوي ان
لم يصادف تقدير الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة
اي لا يترك وفي البخاري ايضا عن مسروق عن عايشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب
الناس اذهب الباس واشفه وانت الشافي لا شفا الا شفاوك شفا لا يغادر
سقما وقوله يمسح بيده وقوله الا شفاوك بالرفع بدل من موضع لا شفا
وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي يقول امسح
الباس رب الناس بيدك الشفا لا كاشف له الا انت رواه البخاري
ايضا وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص انه شكى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ضع يدك على الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات
اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما كرره ليكون
انجع وابلغ كتكرار الدوا لاخراج المادة ذكر طبه

صلى الله عليه وسلم

من الفزع والارق المانع من النوم عن بريدة قال شكى خالد الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل من الارق فقال
صلى الله عليه وسلم اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات
السبع وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما
اضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط علي احد منهم
او يبغي علي عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك رواه الترمذي
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حر المصيبة ببرد الرجوع الى
الله تعالى في المسند مرفوعا ما من احد تصيبه مصيبة فيقول انا لله
وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا
اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قال في الهدي النبوي
وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب وانفعه له في عاجلته واجلته
فانها تتضمن اصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته
احدهما ان العبد واهله وماله ملك لله تعالى حقيقة وقد جعله عند
العبد عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير ياخذ متاعه من المستعير
والثاني ان مصير العبد ومرجعه الى الله تعالى ولا بد ان يخلف الدنيا
وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة
ولكن بالحسنات والسيات فاذا كانت هذه بداية العبد ونهايته
فكيف يفرح بموجود او ياسى على مفقود ففكره في مبداه ومعاده من
اعظم علاج هذا الداء قال ومن علاجه ان يطفي نار مصيبته ببرد التاسي
باهل المصايب وانه لو فتش العالم لم ير فيه الا مبتلى اما بفوات محبوب
او حصول مكروه وان سرور الدنيا احلام نوم او ظل زائل ان اضحكت
قليلا ابكت كثيرا وان سرت يوما سات دهرا وان متعت قليلا
منعت طويلا وما ملأت دارا حبرة الا ملاتها عبرة ولا سرته
بيوم سرور الا خبأت له يوم شرور قال ابن مسعود لكل
فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا الا ملئ ترحا ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم من داء الهم والكرب بدواء التوجه الى الرب
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول عند الكرب لا اله الا الله الحي العظيم الحليم لا اله الا الله رب
العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب العرش الكريم

رواه

رواه الشيخان وقوله عند الكرب اي عند حلول الكرب وعند مسلم كان
يدعو بهن ويقولهن عند الكرب وعنه ايضا كان اذا حزبه امر وهو بفتح
المهملة والزاي وبالموحدة اي هجم عليه او غلبه قال الطبري معنى قول ابن عباس
يدعو وانما هو تهليل وتعظيم يحتمل امرين احدهما ان المراد تقديم ذلك قبل
الدعا كما عند عبد بن حميد كان اذا حزبه امر قال فذكر الذكر الماثور وزاد
ثم دعا قال الطبري ويؤيد هذا ما روي الاعمش عن ابراهيم قال كان يقال
اذا بدا الرجل بالثنا قبل الدعا استجيب له واذا بدا بالدعا قبل الثنا كان على
الرجا ثانيهما ما اجاب به ابن عيينة وقد سيل عن الحديث الذي فيه اكثر
ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له
الحديث فقال سفيان هو ذكر وليس فيه دعا ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته ما اعطي السايلين
وقال امية ابن ابي الصلت في مدح عبد الله ابن جدعان

ااذكر حاجتي ام قد كفاني • حباوك ان شيمتك الحيا •
اذا اثنى عليك المرء يوما • كفاه من تعرضك الثنا •

فهذا المخلوق حين نسب الى الكرم اكتفي بالثنا عن السوال فكيف
بالخالق ثم ان حديث ابن عباس هذا كما قاله ابن القيم قد اشتمل على توحيد
الالهية والربوبية ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان
مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والاحسان والتجاوز ووصفه
بكمال ربوبيته الشاملة العالم العلوي والسفلي والعرش الذي
هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده
وانه الذي لا ينبغي العبادة والحب والخوف والرجا والاجلال
والطاعة الا له وعظمته المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب
كل نقص وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه
فعلم القلب ومعرفته يوجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له
من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم الكرب والهم والغم
وانت تجد المريض اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف
تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي فحصول هذا الشفا للقلب اولى واحرى
ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الاوصاف الذي تضمنها
هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه

الي سعة البهجة والسرور وانما يصدق هذه الامور من اشرقت فيه انوارها
وباشر قلبه حقايقها قال ابن بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان
عند ابي نعيم فقال له شيخ ان ابا بكر بن علي قد سعي به عند السلطان فسجن
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك وفي حديث عند
النساي وصححه الحاكم لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وامرني
ان نزل بي كرب او شدة ان اقولها لا اله الا الله الكريم العظيم سبحان الله
تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي لفظ الحليم الكريم
في الاول وفي لفظ وحده لا شريك له العلي العظيم لا اله الا الله وحده
لا شريك له الحليم الكريم • وفي لفظ لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه وتعالي
رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اخرجها كلها النساي وروي الترمذي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع
طرفه الي السما فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعا قال يا حي
يا قيوم وعنه ايضا من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا احزنه
امر قال يا حي يا قيوم وعنه ايضا من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا احزنه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال العلامة ابن القيم
وفي تاثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع هذا الدعا مناسبة
بديعة فان صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة
القيومية متضمنة لجميع صفات الافعال ولهذا كان اسم الله الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة
تضاد جميع الالام والاسقام ولهذا لما كملت حياة اهل الجنة لم
يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شي من الافات فالتوسل بصفة الحياة
والقيومية تاثير في ازالة ما يضاد الحياة ويضر بالافعال فلهذا الاسم
الحي القيوم تاثير عظيم خاص في اجابة الدعوات وكشف الكربات
ولهذا كان صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم •
وروي ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة
عين فاصلح لي شاني كله لا اله الا انت • وفي هذا الدعا كما قاله في زاد المعاد من
تحقيق الرجا لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه وحده وتفويض الامر اليه والتضرع
اليه ان يتولي اصلاح شانه ولا يكله الي نفسه والتوسل اليه بتوحيده مما له

تاثير

تاثير في دفع هذا الداء وكذا قوله في حديث اسما بنت عميس عند ابي داود ايضا
مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا اشرك به شيا وفي مسند الامام احمد من
حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا حزن
فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك
عدل في قضاوك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او اعلمته احدا من خلقك
او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم ربيع قلبي ونور
بصري وجلا حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله مكانه
فرحا وسرورا وانما كان الدعا بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية
الداعي وعبودية ابايه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشا
واثبات القدر وان احكام الرب تعالي نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك
له عنه ولا حيلة له في دفعها • وانه سبحانه وتعالي عدل في هذه الاحكام
غير ظالم لعبده • ثم توسله باسماء الرب تعالي التي سمي بها نفسه ما علم
العبد منها وما لم يعلم ومنها ما استاثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع
عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا • وهذه الوسيلة اعظم الوسايل واحبها
الي الله تعالي واقربها تحصيلا للمطلوب • ثم سواله ان يجعل القران لقلبه
ربيعا كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله لصدره كالنور الذي
هو مادة للحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفا همه وغمه
فيكون بمنزلة الدوا الذي يستاصل الداء ويعيد البدن الي صحته واعتداله
وان يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها فاذا
صدق العليل في استعمال هذا الدوا اعقبه شفا تاما • وفي سنن ابي داود
عن ابي سعيد الخدري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له ابو امامة فقال يا ابا امامة
مالي اراك في المسجد في غير وقت الصلاة • فقال هموم لزمتني وديون
يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب الله عز وجل همك
وقضي دينك قال قلت بلي يا رسول الله قال قل اذا اصبحت واذا امسيت
اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك
من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت
ذلك فاذهب الله همي وقضي عني ديني • وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة
من ثمانية اشيا كل اثنين منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان

والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال اخوان
فحصلتا لاستعاذة من كل شر• وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن
كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب• وانما كان الاستغفار له تاثير
في دفع الهم والضيق لانه قد اتفق اهل الملل وعقلاء كل امة ان المعاصي والفساد
يوجبان الهم والغم والحزن وضيق الصدر وامراض القلب• واذا كان هذا تاثير
الذنوب والاثام في القلوب فلا دواء لها الا التوبة والاستغفار وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله
وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من
ابواب الجنة وفي بعض الاثار انه ما ينزل ملك من السما ولا يصعد الا بلا حول
ولا قوة الا بالله وروى الطبراني من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي
لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي
من الذل وكبره تكبيرا• وفي كتاب ابن السني من حديث ابي قتادة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب اغاثه
الله عز وجل وعنه ايضا من حديث سعد بن ابي وقاص قال صلى الله عليه وسلم
اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين• وعند الترمذي لم يدع بها رجل
مسلم في شي قط الا استجيب له وروى الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر
ابن محمد يعني الصادق قال حدثني ابي عن جدي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
حزبه امر دعا بهذا الدعا اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك
الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت رجاي فكم من نعمة انعمت
بها علي قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من
قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني
ويا من راني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقطع ابدا ويا ذا النعما
التي لا تحصى عددا اسالك ان تصلي على سيدنا محمد وعلى ال محمد وبك ادرا
في نحور الاعداء والجبارين اللهم اعني على ديني بالدنيا وعلى اخرتي بالتقوى
واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب
ولا ينقصه العفو هب ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك انك انت الوهاب

اسالك

اسالك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا والعافية من البلايا وشكر
العافية وفي رواية واسالك تمام العافية واسالك دوام العافية واسالك الشكر
على العافية واسالك الغنا عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الفقر عن ابن عمر ان رجلا
قال يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت قال له فاين انت من صلاة
الملائكة وتسبيح الخلايق وبها يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة تاتيك الدنيا صاغرة
فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد اقبلت علي الدنيا فما ادري
اين اضعها رواه الخطيب في رواية مالك ذكر طبه صلى الله عليه وسلم
من داء الحريق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفيه فان قلت
ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير اجاب صاحب زاد المعاد بانه
لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منه وكان من الفساد
العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان اعانة عليه
وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدي الشيطان
واليهما يدعو وبهما يهلك بني ادم فالنار والشيطان كلاهما يريد العلو في
الارض والفساد وكبرياء الله تعالى تقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير
الله تعالى له اثر في اطفاء الحريق فان كبرياء الله تعالى لا يقوم لها شي فاذا كبر
المسلم ربه اثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا
نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهى• ولقد جربت ذلك بطيبة
في سنة خمس وتسعين وثمانمائة فوجدت له اثرا عظيما لم اجده لغيره
ولقد شاع وذاع رؤية طيور بحريق طيبة الواقع في ثالث عشر رمضان
سنة ست وثمانين وثمانمائة معلنة بالتكبير ذكر ما كان عليه الصلاة
والسلام يطب به من داء الصرع في الصحيحين ان امراة اتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت اني اصرع واني اتكشف فادع الله لي فقال ان شئت صبرت
ولك الجنة وان شئت دعوت الله لك ان يعافيك فقالت اصبر قالت
فاني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها قال العلامة ابن القيم
الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من الاخلاط
الردية والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطبا فاما علاج صرع الارواح

فيكون بامرين امر من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة
المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وباريها
والتعوذ الصحيح الذي قد تواطا عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة
والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا بامرين ان يكون السلاح
صحيحا في نفسه جيدا وان يكون الساعد قويا ۝ والثاني من جهة المعالج
فيه بان يكون فيه هذان الامران ايضا حتى ان من المعالجين من يكتفي
بقوله اخرج منه او يقول بسم الله او يقول لا حول ولا قوة الا بالله قال
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله انا رسول الله وكان
بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي وبامر بكثرة قراة المصروع ومن يعالجه لها
وبقراة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمسا وعشرين سنة
خصوصا بسبب دماغي ايس من برئه ۝ وكذلك اذا استمر به الى هذا
السن قال فهذه المراة التي جا الحديث انها كانت تصرع وتنكشف
يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع فوعدها صلى الله عليه وسلم بصبرها
على هذا المرض بالجنة ۝ ولقد جربت الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع
قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه الى اخر سورة الفتح في اذني
صغيرتين صرعتا فشفيتا ۝ ومن الغريب قصة عن الحبشية
خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف واستغاثت به صلى الله
عليه وسلم في ذلك فجي الى صارعها في المنام بامر النبي صلى الله عليه
وسلم فوبخته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت وما بها قلبة
ومن ثم لم يعد اليها فلله الحمد **ذكر دوائه عليه الصلاة والسلام**
من داء السحر قال النووي السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع
وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول
او فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا ۝ واما تعليمه وتعلمه فحرام واذا لم يكن
فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب
قبلت توبته وقال مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب
ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله ۝ والمسالة مبنية على الخلاف في قبول توبة
الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه وعندنا ليس بكافر وعندنا
تقبل توبة المنافق والزنديق قال القاضي عياض وبقول مالك قال احمد
ابن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين قال اصحابنا فاذا

تقتل

قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره وانه يقتل غالبا لزمه
القصاص وان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص ويجب
الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما
ثبت باعتراف الجاني قال اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة
وانما يتصور باعتراف الساحر انتهى واختلف في السحر فقيل هو تخييل
فقط ولا حقيقة له وهو اختيار ابي جعفر الاستراباذي من الشافعية
وابي بكر الرازي من الحنفية وطائفة قال النووي والصحيح ان له
حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلما ويدل عليه الكتاب والسنة
الصحيحة المشهورة قال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني لكن محل
النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين اولا ۝ فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك
والقايلون بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط بحيث يغير
المزاج فيكون نوعا من الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير
الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول وقال
المازري جمهور العلما على اثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان الله قد يخرق
العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب اجسام او مزج بين
قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطبا من
مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير
بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون
به بين المرء وزوجه ۝ لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به
اكثر من ذلك لذكره قال المازري والصحيح من جهة العقل ان يقع
به اكثر من ذلك لذكره قال والاية ليست نصا في منع الزيادة ولو
قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة
والكرامة ان السحر يكون بمعاناة اقوال وافعال حتى يتم للساحر ما
يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما تقع غالبا اتفاقا واما المعجزة
فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر
لا يقع الا من فاسق وان الكرامة لا تظهر على فاسق ونقل نحوه النووي
في زيادة الروضة وينبغي ان يعتبر حال من يقع منه الخارق فان كان
متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة
والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتسا

غير الهالد فانها لا يتوصل اليها الا احاد الناس ومادته الوقوف على خواص
الاشيا والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها تخييلات بغير حقيقة
وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون
وجاوا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم تخرجوا عن كونها حبالا وعصيا
قال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى انها تسعى لم
يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة قد مليت زيبقا
وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا
وجعلوا لها ازاجا وملوها نارا فلما طرحت على ذلك الوضع وحمي الزيبق
حركها لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة
الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن من راها انها تسعى ولم تكن
تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي والحق ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في
القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم
وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا وعكسه بسحر الساحر وقد ثبت
في البخاري من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان
يخيل اليه انه يفعل الشي وما فعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عايشة
دعا ودعا ثم قال يا عايشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه
اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه
ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شي
قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو قال في بير ذروان
واتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فجا فقال يا عايشة
كان ماها نقاعة الحنا وكان روس نخلها روس الشياطين فقلت يا رسول
الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور على الناس فيه شرا
فامر بها فدفنت وفي رواية للبخاري ايضا فاتى البير حتى استخرجه فقال
هذه البير التي رايتها قالت عايشة افلا تنشرت قال اما الله فشفاني واكره
ان اثير على الناس شرا وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلايل بسند
ضعيف في اخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا
وترا فيه احدى عشرة عقدة وانزلت سورة الفلق والناس فجعل كلما
قرا اية انحلت عقدة واخرجه ابن سعد بسند اخر منقطع عن ابن عباس
ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا

طلحة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح الباري
فنزل رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا فيه ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى عشرة عقدة
فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرا اية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها
الما ثم يجد بعدها راحة وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر
كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر بن الحكم مرسل قال لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة
سبع جات روسا اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق
وكان ساحرا فقالوا انت اسحرنا وقد سحرنا فلم يصنع شيا ونحن نجعل
لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكاه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع
في رواية ابي ضمرة عند الاسماعيلي فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب
عن هشام عند احمد ستة اشهر ويمكن الجمع بان الستة اشهر من ابتدا
تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه وقال السهيلي لم
اقف في شي من الاحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم
فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري انه لبث سنة قال
الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا بالاسناد الصحيح فهو المعتمد
وقال المازري انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا انه يحط منصب
النبوة ويشكك فيها قالوا وكلما ادى الى ذلك فهو باطل وزعموا ان تجويز
هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل على هذا ان يخيل
اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحي اليه بشي ولم يوح اليه بشي
قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله عز وجل وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات
شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل واما
ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث لاجلها ولا كانت الرسالة
من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير
بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته
عن مثل ذلك في امور الدين وقال لا يلزم من انه كان يظن انه
يفعل الشي ولم يكن فعله انه يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس
الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حجة وقال القاضي

عياض يحتمل ان يكون المراد بالتخيل المذكور انه يظهر له من نشاطه ما الفه
من سبق عادته من الاقتدار على الوطى فاذا دنا من المراة فترذلك كما هو
شان المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى حتى كاد ينكر بصره اي
صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا راي الشي يخيل انه على غير صفته
فاذا تامله عرف حقيقته ويويد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه
في خبر من الاخبار انه قال قولا فكان بخلاف ما اخبر قال بعضهم
وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض
وتعاطي الاسباب • ففي اول الامر فوض وسلم لامر ربه واحتسب
الاجر في صبره على بلايه ثم لما تمادي ذلك وخشي من تماديه ان
يضعفه عن فنون عادته جنح الى التداوي فقد اخرج ابو عبيد
من مرسل عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم
على راسه يعني حين طب ثم جنح الى الدعا وكل من المقامين غاية في الكمال
وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوي ما يوخذ من النشرة
مقاومة للسحر الذي هو من تاثير الارواح الخبيثة بالادوية الالهية
من الذكر والدعا والقراة • فالقلب اذا كان ممتليا من الله معمورا بذكره
وله ورد من الذكر والدعا والتوجه لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب
المانعة من اصابة السحر له قال وسلطان تاثير السحر هو في القلوب
الضعيفة ولهذا غالب ما يوثر في النسا والصبيان والجهال لان
الارواح الخبيثة انما تتسلط على ارواح تلقا مستعدة لما يناسبها
انتهى ملخصا ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي صلى الله عليه
وسلم مع عظم مقامه وصدق توجهه وملازمته ورده • ولكن يمكن الانفصال
عن ذلك بان الذي ذكر محمول على الغالب وانما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان
تجويز ذلك عليه • واما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر
ابن بطال ان في كتب وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر
اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضرب ذلك بالما ويقرا فيه اية الكرسي
والقلاقل ثم يحسوا منه ثلاث حسيات ثم يغتسل به فانه يذهب
عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا احتبس عن اهله • وممن صرح
بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري وغيرهما
انتهى قال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر

تداويه

تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولاولاده ولاصحابه فيجدون على ذلك
الشفا واخبر رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها له
في المنام وقال انه مرة راي النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما تعلم
ما عمل معك ومع اصحابك في هذه النشرة نقله عنه خادمه وفي هذه
لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى اخر السورة
وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين لو انزلنا هذا القران على
جبل لرايته الى اخر السورة وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم تكتب
اللهم انت المحيي وانت المميت وانت الخالق وانت البارئ وانت المبلي
وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا من ما مهين وجعلتنا في قرار
مكين الى قدر معلوم اللهم اسالك باسمائك الحسنى وصفاتك العلى
يا من بيده الابتلا والمعافي والشفا والدوا اسالك بمعجزات نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم وبركات خليلك ابراهيم عليه السلام وحرمة
كليمك موسى صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه **ذكر رقية تنفع لكل شكوي**
عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من اشتكى منكم شيا فليقل ربنا الله الذي في السما تقدس
اسمك امرك في السما والارض كما رحمتك في السما فاجعل رحمتك في الارض
واغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من
عندك وشفا من شفايك على هذا الوجع فيبرا باذن الله رواه
ابو داود في سننه **رقيته عليه الصلاة والسلام من الصداع** روي الحميدي
في الطب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير
واعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار ورواه ابن السني
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما • واصابت اسما بنت ابي بكر
رضي الله عنها ورم في راسها فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله اذهب عنها سوه وفحشه
بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله صنع ذلك ثلاث
مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام فذهب الورم
رواه الشيخ ابن النعمان بسنده والبيهقي **رقيته** صلى الله عليه وسلم
من وجع الضرس روي البيهقي ان عبد الله بن رواحة شكا الى النبي

صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده
الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه
بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله
قبل ان يبرح • وروى الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكوا ما تلقى من ضربان الضرس
فادخل سبابته اليمنى فوضعها على الضرس الذي يالم فقال بسم الله
وبالله اسالك بعزتك وجلالك وقدرتك على كل شي فان مريم لم تلد غير
عيسى من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من
الضر كله فسكن ما بها **ومن الغريب** مما شاع وذاع عن شيخنا المحب
الطبري امام مقام الخليل بمكة ورايته يفعله غير مرة وضع يده على
راس الموجوع ضرسه ويسال عن اسمه واسم امه وعن المدة التي يريد
المالوم ان لا يالمه فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر
قالوا فما يرفع يده الا وقد سكن المه وتمكث المدة المذكورة لا يالمه كما
اشيع ذلك واشتهر ومما جرب ان يكتب على الخد الذي يلي
الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة قليلا ما تشكرون وان شاكتب وله ما سكن في الليل
والنهار وهو السميع العليم **رقية لعسر البول** روى النسائي عن
ابي الدرداء انه اتاه رجل يذكر ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة
البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا الله
الذي في السما تقدس اسمك امرك في السما والارض كما رحمتك في السما
فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين
فانزل شفا من شفايك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرا
وامره ان يرقيه بها فرقاه بها فبرا وقد تقدم هذا في رقية الشكوى
العامة من حديث ابي داود **رقية الحما** عن انس قال دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة وهي موعوكة وهي تسب
الحمى فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن لو شيت علمتك كلمات
اذا قلتيهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي
الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت
بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي

الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها اخر فاني اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله **ويكتب** للحمى المثلثة مما ذكره صاحب
الهدي على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت
بسم الله قلت ويأخذ كل يوم ورقة ويجعلها في فمه ويبلعها بما
وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القران وشربه وجعل
ذلك في الشفا الذي جعل الله فيه قال ابن الحاج في المدخل وقد
كان الشيخ ابو محمد المرجاني لا تزال الاوراق للحما وغيرها على باب
الزاوية فمن كان به الماخذ ورقة منها فاستعملها فيبرا باذن الله عز وجل
وكان المكتوب فيها ازلي لم يزل يزيل الزوال ولا يزال ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين وقال
المروذي بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا
به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكايل واسرافيل
اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق امين
ومما جرب للخراج ونقله صاحب زاد المعاد ان يكتب عليه ويسالونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا **ومما يكتب لعسر الولادة** ما روى الخلال عن عبد الله
ابن الامام احمد بن حنبل قال رايت ابي يكتب للمراة اذا اعسر عليها ولادتها
في جام ابيض او شي نظيف حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان
الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلغ كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال الخلال
اخبرنا ابو بكر المروذي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله تكتب
لامراة قد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجي بجام واسع وزعفران
قال ورايته يكتب لغير واحد **وفي** المدخل يكتب في انية جديدة اخرج
ايها الولد من بطن ضيق الى سعة هذه الدنيا اخرج بقدرة الذي جعلك في قرار
مكين الى قدر معلوم لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخر السورة وننزل من
القران ما هو شفا ورحمة للمومنين وتشربها المراة النفسا وترش منه على
وجهها قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة فما كتبته لاحد الا
نجح في وقته انتهى **وروى** عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى عليه السلام

على امراة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان
تخلصني مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس
خلصها قال فرمت بولدها فاذا هي قايمة قال فاذا عسر على المراة ولدها
فاكتب لها **ومما يكتب** ايضا لذلك ويكون في انا نظيف اذا السما انشقت
واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل
منه ويرش على بطنها ومما يكتب **للرعاف** على جبهة المرعوف وقيل يا ارض
ابلعي ماك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم الراعف
كما يفعله بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله ومما يكتب
لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شي ومليك كل شي وخالق
كل شي انت خلقتني وخلقت النسا فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه
بقطع واشفني شفا لا يغادر سقما لا شافي الا انت **واما** حفيظة رمضان
لا ألا إلا الا وك يا الله انك سميع عليم محيط به علمك كسكيون وبالحق انزلناه
وبالحق نزل الى اخرها فقال شيخنا اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر
والمغرب وجملة بلاد انها حفيظة رمضان تحفظ من الغرق والسرق
والحرق وساير الافات يكتب اخر جمعة منه وجمهورهم يكتبها والخطيب
يخطب على المنبر وبعضهم بعد صلاة العصر وهذه بدعة لا اصل لها وان
وقعت في كلام غير واحد من الاكابر بل شعر كلام بعضهم ورودها في حديث
ضعيف وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو قايم على المنبر في اثنا
خطبته حين يرى من يكتبها انتهى **ذكر ما يقي من كل بلا** عن ابان
ابن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال
بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شي في الارض ولا في السما وهو السميع العليم
ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجاة بلا حتى يصبح ومن قالها حين يصبح
لم يصبه فجاة بلا حتى يمسي قال فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع
منه الحديث ينظر اليه فقال ما لك تنظر الي فوالله ما كذبت على عثمان
ولا كذب عثمان على رسول الله ولكن اليوم الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت
فنسيت ان اقولها رواه ابو داود ورواه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح وعنه وكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له
ابان ما تنظر الي اما ان الحديث كما حدثتك ولكن لم اقله يومئذ
ليمضي الله قدره **ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلا** ذكر ابو محمد

فا

عبدالله

عبد الله ابن محمد المالكي الافريقي في كتابه اخبار افريقية عن انس بن مالك
مرفوعا من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشر
مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين بلا من بلايا الدنيا
منها الجنون والجذام والبرص والريح ويشهد له ما رواه الترمذي عن ابي هريرة
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فانها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله
ولا ملجا من الله الا اليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناها الفقر
روى الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
لا حول ولا قوة الا بالله كان دوا من تسعة وتسعين دا ايسرها الهم **ومن
ذلك الامان من الفقر** عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدا
رواه ابن ابي الدنيا وروى الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن ابطا عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله
وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب يرفعه من قال
كل يوم لا اله الا الله الملك الحق المبين كان له امانا من الفقر وانسا من
وحشة القبر واستفتح به باب الغنا واستقرع به باب الجنة قال
بعض رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان كثيرا ذكره عبد الحق
في كتاب الطب النبوي **ذكر دوا دا الطعام** روى البخاري
في تاريخه عن عبد الله ابن مسعود من قال حين يوضع الطعام بسم الله
خير الاسما في الارض وفي السما لا يضر مع اسمه دا اجعل فيه رحمة وشفا
لم يضره ما كان **ذكر دوا ام الصبيان** عن علي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى
لم تضره ام الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي
وام الصبيان هي الريح التي تعرض لهم فربما يغشى عليهم منها وسر التاذين
كما قاله صاحب تحفة المودود باحكام المولود ان يكون اول ما يقرع
سمع المولود كلماته المتضمنة لكبريا الرب وعظمته والشهادة التي اول
ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله
الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك من فائدة
اخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الاذان وهو كان يرصده

حتى يولد فيفارنه للمحنة التي قدرها الله تعالى وشاها فيسمع الشيطان
ما يضعفه ويغيظه اول اوقات تعلقه **النوع الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الطبيعية ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يعالج به الصداع والشقيقة** اعلم ان الصداع الم في بعض
اجزاء الراس او كله فما كان منه في احدى جانبي الراس لازما سمي شقيقة بوزن
عظيمة وسببه ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة او باردة ترتفع الى الدماغ فان
لم تجد منفذا احدثت الصداع • فان مال الى احدى شقي الراس احدث الشقيقة
وان ملك كل الراس احدث داء البيضة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على
الراس كلها واسباب الصداع كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يكون عن ورم
في المعدة او في عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها • ومنها ما يكون من الحركة
العنيفة كالجماع والقي والاستفراغ والسهر او كثرة الكلام ومنها ما يحدث
من الاعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى ومنها ما يحدث عن حادث
في الراس كضربة تصيبه او ورم في صفاق الدماغ او حمل شي ثقيل يضغط الراس
او تسخينه بشي خارج عن الاعتدال او تبريد ملاقات الهوى او الما في البرد
واما الشقيقة فهي في شرايين الراس وحدها وتختص بالموضع الاضعف
من الراس وعلاجها بشد العصابة وقد اخرج الامام احمد من حديث
بريدة انه صلى الله عليه وسلم كان ربما اخذته الشقيقة فيمكث اليوم
واليومين لا يخرج وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته
وا راساه وانه خطب وقد عصب راسه فعصب الراس ينفع في الشقيقة
وغيرها من اوجاع الراس **وفي** البخاري من حديث ابن عباس احتجم
صلى الله عليه وسلم وهو محرم في راسه من شقيقة كانت به وقد
جات مقيدة اما في بعض طرق ابن عباس نفسه فعند ابي داود
الطيالسي في مسنده من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
احتجم في وسط راسه وقد قال الاطبا الحجامة على الاخدعين نافعة
جدا وورد انه صلى الله عليه وسلم احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل
اخرجه الترمذي وحسنه وابو داود وابن ماجة وصححه الحاكم
وقد قال الاطبا الحجامة على الاخدعين تنفع من امراض الراس
والوجه كالاذنين والعينين والاسنان والانف وقد
ورد في حديث ضعيف جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رياح

عن

عن عبد الله ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس رفعه الحجامة في الراس
تنفع من سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع
ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه الفلاس وغيره بالكذب
وروي ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع
غلف راسه بالحنا ويقول انه نافع باذن الله من الصداع وفي صحته
نظر وهو علاج خاص بما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم
يكن من مادة يجب استفراغها واذا كان كذلك نفع فيه الحنا نفعا
ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع
وهذا لا يختص بوجع الراس بل يعم الاعضا • وفي تاريخ البخاري
وسنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكا اليه احد
وجعا في راسه الا قال له احتجم ولا شكا وجعا في رجليه الا قال له
اختضب بالحنا • وفي الترمذي عن علي بن عبد الله عن جدته وكانت
تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله
عليه وسلم قرحة ولا نكبة الا امرني ان اضع عليها الحنا **ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم للرمد** وهو ورم حار يعرض في الطبقة
الملتحمة من العين وهو بياضها وسببه انصباب احد الاخلاط
وابخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم احدث
الزكام او الى العين احدث الرمد او الى اللهاة والمنخرين احدث
الخناق بالخا المعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة • او الى القلب
احدث الشوصة • وان لم ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد احدث
الصداع كما تقدم وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد
بالسكون والدعة وترك الحركة • وفي سنن ابن ماجة عن صهيب
قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال
ادن وكل فاخذت تمرا فاكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد فقلت
يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم **وقد روي** انه حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد وفي
البخاري من حديث سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الكماة من المن وماوها شفا للعين والكماة نبات لا ورق لها
ولا ساق يوجد في الارض من غير ان يزرع وروى الطبري من طريق

[library stamp]

المنكدر عن جابر كثرت الكماة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامتنع قوم من اكلها وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان
الكماة ليست جدري الارض الا ان الكماة من المن واختلف في
قوله من المن فقيل من المن الذي انزل الله على بني اسرايل وهو الطل
الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل حلواه ومنه الترنجبيل فكانه يشبه
الكماة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج وقال
الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي انزل الله على بني اسرايل
فان الذي انزل على بني اسرايل كان كالترنجبيل الذي يسقط على الشجر
وانما المعنى ان الكماة شي ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما
اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس في
اكتسابه شبهة • ويستنبط منه ان استعمال الحلال المحض يجلوا
البصر وقال ابن الجوزي في المراد بكونها شفا للعين قولان
احدهما انه ماوها حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا على
انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رايين
احدهما انه تخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد ثانيهما
ان تشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماوها ثم يوخذ الميل فيجعل في ذلك
الشق وهو فاتر فيكتحل بمايها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته
الرديه ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل في مايها وهي باردة يابسة
فلا ينجع وقال اخر تجعل الكماة في قدر جديد ويصب عليها الما
ولا يطرح فيها ملح ثم يوخذ غطا جديد نقي فيجعل على القدر فما
جرا من الغطا من بخار الكماة فذلك الما الذي يكتحل به وقال ابن
وافد ان ما الكماة اذا اعتصر وربي به الاثمد كان من اصلح الاشيا
للعين اذا اكتحل به يقوي اجفانها ويزيد الروح الباصر قوة وحدة
ويدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا اذا اكتحل بما الكماة وحده
بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة في البصر كثيرة
وقال ابن القيم اعترف فضلا الاطبا ان ما الكماة يجلوا العين
منهم المسيحي وابن سينا وغيرهما قال والذي يزيل الاشكالات
عن هذا الاختلاف ان الكماة وغيرها خلقت في الاصل سليمة
من المضار ثم عرضت لها الافاة باموراخرى من مجاورة او امتزاج

او غيره لك من الاسباب التي اراد الله تعالى فالكماة في الاصل نافعة
لما اختصت به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة
واستعمال كلما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله تعالى عنه
الضرر لنيته والعكس بالعكس والله اعلم ذكر طبه صلى الله عليه وسلم
من العذرة وهي بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق يعتري الصبيان
غالبا وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في الخرم الذي بين الانف
والحلق وهو الذي يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اللهاة والمراد وجعها
سمي باسمها وقيل هو موضع قريب من اللهاة واللهاة بفتح اللام اللحمة التي
في اقصى الحلق وفي البخاري من حديث ام قيس بنت محصن الاسدية اسدخزيمة
وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد علقت عليه
من العذرة فقال صلى الله عليه وسلم علام تدغرن اولادكن بهذا العلاق • عليكم
بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب يريد الكست
وهو العود الهندي قوله تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال
المهملة والدغر غمز الحلق وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عايشة وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا به العذرة
او وجع في راسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن انما امراة اصاب ولدها عذرة
او وجع في راسه فلتاخذ قسطا هنديا فلتحكه بما ثم تسعطه اياه فامرت
عايشة فصنع ذلك للصبي فبرا الحديث • وفي القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها
الى مكانها وكانوا يعالجون اولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق وهي شي يعلقونه
على الصبيان فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للاطفال
واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف وقد استشكل معالجتها بالقسط
مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لا سيما
وقطر الحجاز حار واجيب بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي
القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الدا بالخاصية • وايضا فالادوية
الحارة قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض كثيرا بل وبالذات ايضا وقد ذكر ابن سينا
في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب اليماني على انا لو لم نجد شيا من التوجيهات
لكان المعجز خارجا عن القواعد الطبية ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لدا
استطلاق البطن في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد الخدري
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه وفي رواية استطلق

بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا
فقال صدق الله وكذب بطن اخيك وفي رواية مسلم فقال له ثلاث مرات ثم
جا الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله
وفي رواية احمد عن يزيد بن هارون فقال في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قال
فسقاه فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك
قال الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب موضع الخطا يقال كذب سمعك
اي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له • فمعنى كذب بطنه اي لم يصح لقبول الشفا بل زل
عنه وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك
العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه عليه الصلاة والسلام
كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه
هذا اللفظ وقد اعترض بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع
به الاسهال ويجيب بان ذلك جهل من قايله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطبا على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف
السن والعادة والزمان والغذا المالوف والتدبير وقوة الطبيعة وعلى ان
الاسهال يحدث من انواع منها الهيضة التي تنشا عن تخمة واتفقوا على ان علاجها
بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكان
هذا الرجل كان استطلاق بطنه من تخمة اصابته فوصف له صلى الله عليه وسلم
العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع استقرار
الغذا فيها وللمعدة خمل كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها
وافسدت الغذا الواصل اليها فكان دواها باستعمال ما يجلوا تلك الاخلاط
ولا شي في ذلك مثل العسل لا سيما ان مزج بالما الحار • وانما لم يفده في اول مرة
لان الدوا يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب الدا ان قصر عنه لم يدفعه
بالكلية وان جاوزه اوهى القوة واحدث ضررا اخر فكانه شرب منه اولا مقدار
لا يفي بمقاومة الدا فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب
مادة الدوا برا باذن الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك
اشارة الى ان هذا الدوا نافع وان بقا الدا ليس لقصور الدوا في الشفا ولكن
لكثرة المادة الفاسدة • فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها
وقال بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه جل الغذا
ويدر البول فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه لها حتى يدفع الطعام

ويسهل

ويسهل البطن فيكون مسهلا فان كان وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر
قال ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المستعمل اربعة اقوال
احدها ان حمل الاية على عمومها في الشفا والى ذلك اشار بقوله صدق الله اي في قوله
فيه شفا للناس • فلما نبه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي باذن الله • الثاني
ان الوصف المذكور على المالوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها
الثالث ان الموصوف له ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره • الرابع
يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا
بغير طبخ انتهى والثاني والرابع ضعيفان • ويويد الاول حديث ابن مسعود
عليكم بالشفايين العسل والقران اخرجه ابن ماجة والحاكم مرفوعا واخرجه
ابن ابي شيبة والحاكم ايضا موقوفا ورجاله رجال الصحيح • واثر علي اذا اشتكى
احدكم فليستوهب من امراته من صداقها فليشتر به عسلا ثم ياخذ ما السما
فيجمع هنيا مريا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند حسن وروينا
عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفا فليكتب اية من كتاب الله في
صحفة وليغسلها بما السما ولياخذ من امراته درهما عن طيب نفس منها فليشتر
به عسلا فليشربه فانه شفا قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره اي من وجوه
قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفا وقال ونزلنا من السما ما مباركا وقال
فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا وقال في العسل فيه شفا للناس

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه

روى الترمذي وابن ماجة في سننه من حديث اسما بنت عميس قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما ذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار حار ثم قالت
استمشيت بالسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان شيا كان فيه شفا من الموت
لكان في السنا قال ابو عيسى هذا حديث غريب وقد ذكر البخاري في تاريخه
الكبير من حديث اسما بنت عميس مثل ما ذكر الترمذي وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب
الطب له انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشبرم فانه حار حار وعليكم بالسنا
فتداووا به فلو دفع الموت شي لدفعه السنا وحكى عبد الحق الاشبيلي في كتاب
الطب النبوي له ان المحاسبي ذكر في كتابه المسمى بالقصد الى الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم شرب السنا بالتمر • وفي سنن ابن ماجة من حديث ابراهيم بن ابي عبلة
قال سمعت عبد الله ابن حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا

والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يا رسول الله وما السام
قال الموت قالوا والسنوت قشر عرق بجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة
وهو من الادوية التي منع الاطبا من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها واما
السنا فهو نبت حجازي افضله المكي وهو دوا شريف مامون الغايلة قريب
من الاعتدال حار يابس في الدرجة الاولي يسهل الصفرا والسودا ويقوي جرم
القلب ومن فضيلة شريفة ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي
قال الرازي السنا والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب
والحكة قال والشربة من كل واحد منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم **واما**
السنوت فقيل هو العسل وقيل هو رب عكة السمن يخرج خطوطا سودا على السمن
وقيل حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل انه الرازيانج
وقيل انه الشبت وقيل انه العسل الذي يكون في زقاق السمن قال بعض الاطبا
وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب اي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط
للسمن ثم يلعق فيكون اصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح
السنا واعانته على الاسهال **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود**
وهو الذي اصيب فواده فهو يشتكيه كالمبطون روى ابو داود عن سعد
قال مرضت مرضا فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين
ثديي حتى وجدت بردها على فوادي وقال لي انك رجل مفؤود فات الحارث
ابن كلدة من ثقيف فانه رجل متطبب فلياخذ سبع تمرات من عجوة المدينة
فليجاهن بنواهن ثم ليلدك بهن الفواد وهذا الحديث من الخطاب العام الذي
اريد به الخاص كاهل المدينة ومن جاورهم والتمر لاهل المدينة كالحنطة لغيرهم
واللدود ما يسقاه الانسان من احد جانبي الفم وفي التمر خاصية عجيبة لهذا
الدا سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة وفي كونها سبعا خاصية اخرى تدرك
بالوحي وفي الصحيح من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم
سم ولا سحر **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لدا ذات الجنب**
في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات
الجنب وفي الترمذي من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم تداووا
من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت اعلم ان ذات الجنب ورم حار
يعرض في الغشا المستبطن للاعضا وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب
من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والاضلاع

فيحدث

فيحدث وجعا فالاول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطبا قالوا
ويحدث بسببه خمسة امراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض
المنشاري ويقال لذات الجنب ايضا وجع الخاصرة وهو من الامراض المخوفة
لانها تحدث بين القلب والكبد وهي من سيي الاسقام والمراد بذات الجنب
هنا الثاني لان القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوي به الريح الغليظة
وقد حكى الامام ابن القيم عن المسيحي انه قال العود حار يابس قابض يحبس
البطن ويقوي الاعضا الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب
فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب الحقيقية ايضا اذا كانت ناشية عن
مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط العلة **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم**
لدا الاستسقا عن انس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى
الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من البانها وابوالها فلما صحوا عمدوا الى
الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثارهم فاخذوا فقطع ايديهم وارجلهم
وسمل اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم ان الاستسقا
مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضا فتربو لها اما الاعضا
الظاهرة كلها واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذا والاخلاط
واقسامه ثلاثة لحمي وهو اصعبها الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة
بلغمية تفشو مع الدم في الاعضا وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن
الاسفل مادة مائية ردية يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق
وهو اردى انواعه عند اكثر الاطبا وطبلي وهو الذي تنتفخ معه البطن
بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل وانما امرهم
عليه الصلاة والسلام بشرب ذلك لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا
وتلطيفا وتفتيحا للسدد اذ كان اكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج
والاقحوان والاذخر وغير ذلك من الادوية النافعة للاستسقا خصوصا
اذا استعمل بحرارته التي تخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار
كما تخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد في ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول
واطلاقه البطن واما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل ان بعض
الناس مرض بمعدته فراى الشيخ الجليل ابو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم

وهو يشير لهذا الدوا وهو ان ياخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربا
ويكون ملتوتا بالمصطكا بعد دقها وتجعل فيه سبع حبات من الشونيز يفعل
ذلك سبعة ايام ففعله فبرئ ومرض بعض الناس ببرد المعدة فراى الشيخ المرجاني
ايضا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير لهذا الدوا اوقية ونصف عسل نحل
ودرهمين شونيز ومثلها انيسون ونصف اوقية من النعنع الاخضر
ومن القرنفل درهم ومن القرفا نصف درهم وشي من قشر الليمون مع قليل
من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرئ ومرض اخر بسلس الريح فراي
الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير لهذا الدوا شونيز ثلاثة
دراهم ومن خزامي درهمين ونصف ومن الكمون الابيض ثلاثة دراهم ومثله
من السعتر الشامي ومثله من الغليا ووزن درهم من البلوط وهو ثمرة الفواد
واوقية من الزيت المرقي يجعل فيه من العسل النحل ما يعقده وهو ربع رطل ويوخذ
منه غدوة النهار وزن درهمين على الريق وعند النوم وزن درهم ونصف
فاستعمله فبرئ ثم انه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص
الذي اخبره لهذا الدوا انه ينفع لاده واء وهي الريح وسلس الريح والمعدة وبرودتها
ووجع الفواد والم الحيض والم النفاس ولتعقد الرياح والزيت المرقي صفته
ان تاخذ شيا من الزيت الطيب وتجعله في انا نظيف وتحركه بعود وتقرا
عليه الاخلاص والمعوذتين ولقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر السورة
وحصل لاخر قولنج فراي الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم فاشار لهذا الدوا وهو
ان ياخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم ونصف من الزيت المرقي
واحدي وعشرين حبة من الشونيز وتخلط الجميع ثم يفطر عليه ويفعل مثله
عند النوم ففعل ذلك فبرا وتعمل له التلبينة ويستعملها بعد ان يفطر
على ذلك والتلبينة حسا يعمل من دقيق ونخالة وربما جعل فيها عسل ويكون بعد
ذلك غداوه مصلوقة الدجاج او لحم الضان ففعله فبري بعد ان اعيا الاطبا
ومرض اخر بوجع الظهر فشكى ذلك للشيخ فراي النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يشير لهذا الدوا وهو عسل نحل وشونيز ودهن الالية والزيت المرقي ودقيق
البيضة وتخلط ذلك كله ويمسح على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بقشره
مع الحرمل بعد ما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرئ وشكي
بعض الناس الدوخة في راسه فراي الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فاشار
الى هذا الدواء قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزه طيبه وسنبل من كل واحد

درهم ونصف شونيز درهمين يدق الجميع ويطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا قرب
استواوه عصر عليه قليل ليمون ويكون عسل النحل غالبا عليه ففعل فبرى
انتهى وهذا وان كان منا ما فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ المرجاني
لذلك **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء عرق النسا** وهو بفتح
النون والمهملة المرض الحال بالعرق والاضافة فيه من باب اضافة الشي
الى محله قيل وسمي بذلك لان المه ينسي ما سواه وهذا العرق ممتد من مفصل
الورك وينتهي الى اخر القدم وراء الكعب وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال دواء عرق النسا الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزا ثلاثة اجزاء ثم تشرب
على الريق في كل يوم جزوا رواه ابن ماجة وهذا الدوا خاص بالعرب واهل
الحجاز ومن جاورهم وهو انفعه لهم لان هذا المرض يحدث من مادة غليظة
لزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصيتان الانضاج والتليين
وهذا المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية
قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعاها
لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما وهذه اذا
تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها تغذيه ويكسبها
مزاجا الطف منها ولاسيما الالية **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم **من
الاورام والخراجات** بالبط والبزل يذكر عن علي رضي الله عنه
قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل نعوده بظهره
ورم فقالوا يا رسول الله بهذه مدة فقال بطوا عنه قال علي فما برحت
حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد **ذكر طبه** عليه الصلاة
والسلام **بقطع العروق والكي** روي البخاري ومسلم من حديث جابر
ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع
له عرقا وكواه عليه واخرج مسلم عن جابر قال رمي سعد بن معاذ في اكحله
حسمه النبي صلى الله عليه وسلم وروي الطحاوي وصححه الحاكم عن انس قال
كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الترمذي انه صلى
الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم عن عمران
ابن الحصين كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي
روايه ان النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي كان انقطع عني رجع الي
يعني تسليم الملائكة وروى احمد وابو داود والترمذي عن عمران نهى عن

الله صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا الحديث وانما يستعمل
الكي في الخلط الباغ الذي لا تنحسم مادته الا به ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم
ثم نهى عنه، وانما كرهه لما فيه من الالم الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت
العرب تقول في امثلتها اخر الدوا الكي والنهي فيه محمول على الكراهة
او على خلاف الاولى لما يقتضيه مجموع الاحاديث، وقيل انه خاص بعمران
لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه
كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي
قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر والقدر لا يدافع
والثاني كي الجرح اذا فسد والعضو اذا قطع فهو الذي شرع التداوي له
فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار
لامر غير محقق، وحاصل الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع
بل يدل على ان تركه ارجح من فعله ولذا وقع الثنا على تاركه واما النهي عنه
فاما على سبيل الاختيار والتنزيه واما عن من لا يتعين طريقا الى الشفا وقال
بعضهم انما نهي عنه مع اثباته الشفا فيه اما لكونهم كانوا يرون انه يحسم
الدا بطبعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا يبادرون اليه قبل حصول الدا
لظنهم انه يحسم الدا فيتعجل الذي يكتوي التعذيب بالنار لامر مظنون
قال في فتح الباري ولم ار في اثر صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى
الا ان القرطبي نسب الى كتاب اداب النفوس للطبري ان النبي صلى الله عليه
وسلم اكتوى وذكره الحليمي بلفظ انه اكتوى للجرح الذي اصابه باحد قال
الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح في غزوة احد ان فاطمة احرقت حصيرا
فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود انتهى **ذكر طبه صلى الله
عليه وسلم من الطاعون** قال الخليل الطاعون الوبا وقال
ابن الاثير الطاعون المرض العام والوبا الذي يفسد له الهوا فتفسد
الامزجة والابدان وقال القاضي ابو بكر بن العربي الطاعون الوجع الغالب
الذي يطفي الروح سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله وقال ابو الوليد
الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات بخلاف المعتاد
من امراض الناس وقال القاضي عياض اصل الطاعون القروح الخارجة
في الجسد والوبا عموم الامراض فسميت طاعونا لشبهها بها في الهلاك
وقال النووي في تهذيبه هو بثر وورم مؤلم جدا تخرج مع لهب ويسود

ما

ماحوله وتخضر او تحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة وتحصل معه خفقان
وقي وتخرج غالبا في المراق والاباط وقد تخرج في الايدي والاصابع وساير
الجسد وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا تحدث
في المواضع الرخوة والمغابن من البدن واغلب ما يكون تحت الابط وخلف
الاذن او عند الارنبة وسببه ورم ردي يستحيل الى جوهر سمي يفسد
العضو ويغير ما يليه ويودي الى القلب كيفية ردية فيحدث القي والغثيان
والغشي والخفقان وهو لرداته لا يقبل من الاعضا الا ما كان اضعف
بالطبع واردأه ما يقع في الاعضا الرئيسة والاسود منه قل من يسلم
واسلمه الاحمر ثم الاصفر، والطواعين تكثر عند الوبا في البلاد
الوبية ومن ثم اطلق على الطاعون وبا وبالعكس **واما** الوبا فهو فساد
جواهر الهوا الذي هو مادة الروح ومدده والحاصل ان حقيقته ورم
ينشا عن هيجان الدم وانصباب الدم الى العضو فيفسده وان غير ذلك
من الامراض العامة الناشية عن فساد الهوي يسمى طاعونا بطريق المجاز
لاشتراكهما في عموم المرض به او كثرة الموت والدليل على ان الطاعون يغاير
الوبا ان الطاعون لم يدخل المدينة النبوية وقد قالت عايشة دخلنا
المدينة وهي اوبى ارض الله وقال بلال اخرجونا الى ارض الوبا، والطاعون
من طعن الجن ولم يتعرض الاطبا لكونه من طعن الجن لانه امر لا يدرك
بالعقل وانما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما تقتضيه قواعدهم
ومما يويد ان الطاعون انما يكون من طعن الجن وقوعه غالبا في اعدل
الفصول وفي اصح البلاد هوا واطيبها ما، ولانه لو كان بسبب فساد
الهوي لدام في الارض لان الهوي يفسد تارة ويصح اخرى ويذهب احيانا
ويجي احيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جا سنة على سنة وربما ابطا سنين
وبانه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة انه يصيب
الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو في مثل مزاجهم ولو كان كذلك
لعم جميع البدن وهو يختص بموضع من البدن لا يتجاوزه، ولان فساد
الهوي يقتضي تغيير الاخلاط وكثرة الاسقام وهذا في الغالب يقتل بلا مرض
فدل على انه طعن الجن كما ثبت في الاحاديث الواردة في ذلك، منها حديث احمد
والطبراني عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري قال سالت عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز اعدايكم من الجن وهو لكم شهادة قال

شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر يقع في الالسنة وهو في النهاية تبعا للغزنوي الهروي بلفظ نسخ اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شي من طرق حديث المسندة ولا في الاجزا المنثورة وقد عزاه بعضهم لمسند احمد او الطبراني او كتاب الطواعين لابن ابي الدنيا ولا وجود له لكن في واحد منها فالله اعلم وفي الصحيحين من حديث اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطاعون رجز ارسل على طايفة من بني اسراييل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلما في النهي عن الخروج حكما منها ان الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا يفيد الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها ان الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور او بغيره ضايع المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا وايضا فلو شرع الخروج فخرج الاقويا لكان في ذلك كسر قلوب الضعفا وقد قالوا ان الحكمة في الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وادخال الرعب عليه بخذلانه وقد جمع الغزالي بين الامرين فقال الهوا لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرية فيوثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التاثير في الباطن فالخارج من البلد الذي يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به وينضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحا في الخروج لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم ومنها ما ذكره بعض الاطبا ان المكان الذي يقع به الوبا تتكيف امزجة اهله بهوا تلك البقعة فتالفها وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن الصحيحة لم توافقهم بل ربما اذا استنشقوا هواها استصحب معه الى القلب من الابخرة الردية التي حصل تكيف بدنه بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ومنها ان الخارج يقول لو اقمت لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه وقال العارف ابن ابي جمرة البلا انما يقصد به اهل البقعة لا البقعة نفسها فمن اراد الله نزول البلا به فهو واقع به لا محالة فاين ما توجه يدركه فارشدنا الشارع الى

عدم

عدم النصب وقال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه عن الدخول الى الارض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فان في الدخول في الارض التي هو فيها تعرضا للبلا وموافاة له في محل سلطانه واعانة للانسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب الدخول الى ارضه من باب الحمية التي ارشد الله تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية الموذية واما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان احدهما حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه والصبر على قضيته والرضا والثاني ما قاله ايمة الطب انه يجب على من كان يحترز من الوبا ان يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذا ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من ارض الوبا والسفر منها لا يكون الا بحركة شديدة وهي مضرة جدا هذا كلام افضل المتاخرين من الاطبا فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما انتهى

ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من السلعة

اخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قايم السيف ان اقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها وما ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجه ابيض بن حمال وكان به القوبا فلم يمس بدنه ضررا من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وغيره

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الحما

رواه البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فاطفوها بالما واختلف في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله تعالى ظهورها باسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى ان حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على حر جهنم وان هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله فاطفوها بهمزة قطع امر بالاطفا وروى الطبراني الحمى حظ المومن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالما بهمزة وصل والرا مضمومة على المشهور وحكي كسرها وفي رواية ابن ماجة بالما البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري

قال كنت اجالس ابن عباس بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك
قلت الحمى قال ابردها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح
جهنم فابردوها بالماء او بماء زمزم شك قال ابن القيم قوله بالماء فيه قولان احدهما
انه كل ماء وهو الصحيح والثاني انه ماء زمزم ثم قال بعد ان روى حديث ابي جمرة
هذا وراوي هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بماء زمزم اذ هو
متيسر عندهم واخبرهم بما عندهم من الماء انتهى وتعقب بانه وقع في
رواية احمد عن عفان عن همام فابردوها بماء زمزم ولم يشك وكذا اخرجه
النسائي وابن حبان والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه
هل المراد به الصدقة بالماء او استعماله على قولين والصحيح انه استعماله واظن الذي
حمل من قال ان المراد به الصدقة به انه اشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى
ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزاء من جنس العمل فكما اخمد
لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد اخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا انتهى
وقال الخطابي وغيره اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث بان قال
اغتسال المحموم [illegible] خطر يقربه من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار
ويعطش الحرارة [illegible] في داخل [illegible] يكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض
ما ينسب الى [illegible] انغمس [illegible] اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة
في باطن بدنه فاصابته علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا
سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث الشريف والجواب
ان هذا الاشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له اولا
من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا
عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث الارشاد الى تبريد الحمى بالماء فان اظهر
الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل محموم في الماء او صبه
اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصده عليه الصلاة والسلام
استعمال الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهو كما
قال وقع في امره العائن بالاغتسال واطلق وقد ظهر من الحديث الاخر
انه لم يرد مطلق الاغتسال وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة
واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته اسماء بنت الصديق رضي الله عنهما
فانها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من الماء بين ثدييه وثوبه فيكون
ذلك من باب النشرة الماذون فيها والصحابي ولا سيما مثل اسماء بنت

التي هي ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها وقد ذكر
ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث
ليال من السحر وقال المازري لا شك ان علم الطب من اكثر العلوم احتياجا
الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشيء دواءه في ساعة فيصير داءه في الساعة التي
تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك
كثير فاذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء
به له ولغيره في ساير الاحوال والاطباء مجمعون على ان المرض الواحد يختلف
علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتاثير المالوف
وقوة الطباع ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون من الخواص التي
اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل عند ذلك جميع كلام اهل
الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خاصا لاهل
الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية
العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال وهذه ينفعها الماء البارد
شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب [illegible] تنتشر منه
بتوسط الروح والدم في العروق الى جميع [illegible] وهي [illegible] عرضية وهي
الحادثة عن ورم او حركة او اصابة [illegible] الشمس او [illegible] الشديد ونحو
ذلك ومرضية وهي ثلاثة انواع وتكون عن مادة ثم منها يسخن جميع البدن
فان كان مبدا تعلقها بالروح فهي حمى يوم لا تقلع غالبا في يوم ونهايتها
الى ثلاث وان كان تعلقها بالاعضاء الاصلية فهي حمى دق وهي اخطرها وان
كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي بعدد الاخلاط الاربعة اعني صفراوية
سوداوية بلغمية دموية وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة
بسبب الافراد والتركيب انتهى واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع
الاول فانها تسكن بالانغماس في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج
وبغيره ولا يحتاج الى علاج اخر وقد قال جالينوس لو ان شابا خصب
اللحم خصب البدن ليس في احشائه ورم استحم بماء بارد وسبح فيه في
وقت الغيظ عند منتهى الحمى لانتفع بذلك وقد تكرر في الحديث استعماله صلى
الله عليه وسلم الماء البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب
لم تحلل اوكيتهن وفي المسند وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه
الحمى قطعة من النار فابردوها عنكم بالماء البارد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على راسه فاغتسل وصححه الحاكم ولكن قال
في اسناده راو ضعيف، وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليشن عليه من الماء
البارد من السحر ثلاث ليال اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب واخرج
الطبراني من حديث عبد الرحمن بن المرقع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض
فبردوا لها الماء في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشا
قال ففعلوا فذهب عنهم وقد اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا
اذا اصاب احدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفيها عنه بالما يستنقع في
نهر جار ويستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك
بعد صلاة قبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة ايام فان لم يبرا
فخمس والا فسبع والا فتسع فانها لا تكاد تجاوز تسعا باذن الله قال الترمذي
غريب وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه **ذكر طبه عليه الصلاة
والسلام من حكة الجسم وما يولد القمل** لما كانت الحكة لا تكون الا عن
حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام وعبد الرحمن
ابن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة ان انسا
حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في
قميص من حرير من حكة كانت بهما وفي رواية ان عبد الرحمن والزبير شكيا
الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فارخص لهما في الحرير فرايته عليهما
في غزاة وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف
والزبير بن العوام في حرير وفي رواية رخص او رخص لحكة كانت بهما
ويحتمل ان تكون العلتان باحد الرجلين وان الحكة في القمل او عكسه
فنسبت العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب قال النووي
هذا الحديث في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه انه يجوز لبس الحرير
اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا القمل وما في معنى ذلك وقال
مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى وتعقب قوله لما فيه من
البرودة بان الحرير حار والصواب ان الحكة فيه لخاصية فيه تدفع
الحكة وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة
في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه وقال الرازي
الابريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن
فانه يهزل ويصلب البشرة فلابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفي وملابس

الكتان

الكتان والحرير والقطن تدفي ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب
الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير الين
من القطن واقل حرارة، ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شي من اليبس والخشونة
كغيرها صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما قدمته لا تكون الا عن حرارة ويبس
وخشونة فلذلك رخص صلى الله عليه وسلم لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة
ذكر مداواته صلى الله عليه وسلم من السم الذي اصابه بخيبر
تقدم في غزوتها قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة وقد روى
عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امراة يهودية
اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ما هذه قالت هدية
وحذرت ان تقول من الصدقة فلا ياكل فاكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه
ثم قال امسكوا ثم قال للمراة هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا
العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت ان كنت كاذبا ان نستريح
منك والناس وان كنت صادقا فانبيا حقا لم يضرك قال فاحتجم النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثة على كاهله، وقد ذكروا في علاج السم ان يكون بالاستفراغات
وبالادوية التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن
عدم الدوا فليبادر الى الدواء الكلي وانفعه الحجامة ولا سيما اذا كان البلد
حارا والزمان حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتتبعه في العروق والمجاري
حتى تصل الى القلب والاعضاء، فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه
تلك الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم
بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فيبطل فعله او يضعفه
ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت
المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى
من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا **النوع
الثالث في طبه عليه الصلاة والسلام بالادوية المركبة
من الالهية والطبيعية** ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من القرحة
والجرح وكل شكوى عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا وفي رواية
انه كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا
رواه البخاري وفي رواية مسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح

قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض الحديث وقوله تربة ارضنا
خبر مبتدا محذوف اي هذه تربة ارضنا وقوله يشفى سقيمنا ضبط بوجهين
بضم اوله على البنا للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله على البنا للفاعل مقدر وسقيمنا
بالنصب على المفعولية قال النووي معنى الحديث انه اخذ من ريق نفسه
على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق به شي منه ثم مسح به الموضع العليل
او الجرح قايلا الكلام المذكور في حالة المسح وقال القرطبي زعم بعض علمايناان السر فيه
ان تراب الارض لبرودته ويبسه يبري الموضع الذي به الالم ويمنع
انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها وقال
في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابرا الجرح والورم ولاسيما من الصايم
الجايع وتعقبه القرطبي بان ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها
من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في اوقاته والا فالنفث ووضع
السبابة على الارض انما يعلق بها ما ليس له بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك
باسما الله تعالى واثار رسوله صلى الله عليه وسلم واما وضع الاصبع بالارض فلعله
لخاصية في ذلك او لحكمة اخفاء اثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة
وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية على ان للريق مدخلا في النضج
وتعديل المزاج وتراب الوطن له تاثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد
ذكروا انه ينبغي للمسافر ان يستصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب
ماءها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيا منه في سقايه ليا من من مضرة
ذلك ثم ان الرقا والعزايم لها اثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول
الى كنهها وقال التوربشتي كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كانه تضرع
بلسان الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابتدعته من ماء مهين
فهين عليك ان تشفي من كانت هذه نشاته وقال النووي وقيل المراد
بارضنا ارض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف
ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث عايشة عند ابي داود
والنساي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو
مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله في
قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد
به الشخص المرقي **ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من لدغة العقرب**
عن عبد الله ابن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد

فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن
الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع
اللدغة في الماء والملح ويقرا قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن
ابي شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر رقا صلى الله عليه وسلم من العقرب
بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح وهذا طب مركب من الطبيعي والالهي
فان سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي
المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى
الله عليه وسلم عقبة بن عامر ان يقراهما عقب كل صلاة رواه الترمذي
وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ
المتعوذون بمثلهما واما الماء والملح فهو الطب الطبيعي فان في الملح نفعا
لكثير من السمام ولاسيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب
السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب
استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح لذلك **ذكر الطب من النملة** وهي
بفتح النون واسكان الميم قروح تخرج في الجنب وتسمى نملة لان صاحبه
يحس في مكانه كان نملة تدب عليه وتعضه وفي حديث مسلم عن انس انه
صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وروى الخلال
ان الشفا بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت
الى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله اني
كنت ارقي في الجاهلية من النملة فاريد ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت
بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس رب
الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه
على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة **ذكر طبه عليه الصلاة
والسلام من البثرة** روى النساي عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
قال عندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة بين اصبعين
من اصابع رجله ثم قال اللهم مطفي الكبير ومكبر الصغير اطفها عني فطفئت
ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من حرق النار روى النساي عن محمد بن حاطب
قال تناولت قدرا فاصاب كفي من مايها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي امي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب الباس رب الناس واحسبه قال
واشف انت الشافي **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم بالحمية وهي قسمان

حمية عما تجلب المرض وحمية عما يزيد فيقف على حاله فالاولى حمية الاصحا والثانية
حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد واخذت القوى في دفعه
والاصل في الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فتيمموا صعيدا
طيبا فحمى المريض من استعمال الما لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك في اول هذا
المقصد • وقد قال بعض فضلا الاطبا راس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم
في المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع ما تكون الحمية للناقه من المرض
لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب من ابتداء المرض والفاكهة
تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم
القوة • وفي سنن ابن ماجة عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين
يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت فاكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد فقلت
يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه
الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد يضر به التمر • وعن ام المنذر
بنت قيس الانصارية قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وهو
ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل منها
وقام علي ياكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي انك ناقه حتى كف
قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجيت به فقال صلى الله عليه وسلم لعلي من هذا
اصب فانه انفع لك • رواه ابن ماجة • وانما منعه صلى الله عليه وسلم من
الاكل من الدوالي لان في الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق
والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه • ففي ماء الشعير التغذية والتلطيف
والتليين وتقوية الطبيعة • فالحمية من اكبر الادوية قبل الدا لكي تمنع تزايده
وانتشاره قال ابن القيم ومما ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما تحمى عنه العليل
والناقه والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة فتناول
منه الشي اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما
انتفع به فان الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى
من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدوا
ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمرات اليسيرة
وعلم انها لا تضره • ففي هذا الحديث يعني حديث صهيب سر طبي لطيف
فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان
انفع واقل ضررا مما لا تشتهيه وان كان نافعا في نفسه فان صدق

شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك بالعكس **ذكر حمية المريض
من الماء** عن قتادة ابن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب
الله العبد حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء قال الترمذي حديث
حسن غريب • وروى الحميدي مرفوعا لو ان الناس قللوا من شرب الما لاستقامت
ابدانهم • وللطبراني في الاوسط عن ابي سعيد مرفوعا من شرب الما على الريق
انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف **ذكر امره صلى الله
عليه وسلم بالحمية من الما المشمس خوف البرص** روى الدارقطني عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالما المشمس فانه يورث البرص
وروى الدارقطني هذا المعنى مرفوعا من حديث عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ضعيف وكذا اخرج العقيلي نحوه عن انس بن مالك ورواه الشافعي
عن عمر فعلى هذا يكره استعمال الما المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا
شروطا ان يكون في البلاد والاوقات الحارة دون الباردة وفي الاواني
المنطبعة على الاصح دون الحجر والخشب ونحوهما واستثنى النقدان لصفائهما
وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض والبرك
قطعا • وان يكون الاستعمال في البدن لا في الثوب وان يكون مستعملا
حال حرارته فلو برد زالت الكراهة في الاصح في الروضة وصحح في الشرح
الصغير عدم الزوال • واشترط صاحب التهذيب كما حكاه الجيلي ان يكون
راسا لانا منسد التنحس الحرارة وفي شرح المهذب انما شرعية يثاب
تاركها وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية
واذا قلنا بالكراهة فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري
ان خاف الاذى حرم وقال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب استعماله
واختار النووي في الروضة عدم الكراهة مطلقا وحكاه الروياني في البحر
عن النص **ذكر الحمية من طعام البخلاء** عن عبد الله بن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام الاسخيا شفاء رواه التنيسي عن مالك
في غير الموطا كما ذكره عبد الحق في الاحكام **ذكر الحمية من داء الكسل** روى
ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة ابن ابي عبد الرحمن انه راه مضطجعا
في الشمس قال يونس فنهاني وقال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انها تورث الكسل وتثير الدا الدفين **ذكر الحمية من داء البواسير**
عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجامعن احدكم وبه حقن

خلاء فانه يكون منه البواسير رواه ابو احمد الحاكم ذكر حمية الشراب
من سم احد جناحي الذباب باغماس الثاني عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان
في احد جناحيه شفاء وفي الاخر داء وفي رواية ابي داود فانه يتقي بجناحه الذي
فيه الداء فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويوخر الشفاء وفي قوله
كله رفع توهم المجاز في الاكتفاء بالبعض قال شيخنا لم يقع لي في شيء من الطرق
تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره لكن ذكر بعض العلماء انه تامله فوجده يتقي
بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي فيه الشفاء واخرج ابو يعلى عن ابن عمر
مرفوعا عمر الذباب اربعون ليلة والذباب كله في النار الا النحل وسنده لا باس به
قال الجاحظ كونه في النار ليس تعذيبا له بل ليعذب اهل النار به ويتولد من العفونة
ومن عجيب امره ان رجيعه يقع على الثوب الابيض سودا وابيض وبالعكس
واكثر ما يظهر في اماكن العفونة ومبدا خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر الطيور
سفادا وربما بقي عامة اليوم على الانثى ويحكى ان بعض الخلفاء سال الشافعي
لاي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة قال الشافعي
سالني ولم عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه
ورضوانه ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل في الاناء
بالليل بتغطيته عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا
الاناء واوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء
او سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء رواه مسلم في صحيحه قيل وذلك في اخر
شهور السنة الرومية ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقى روى ابو داود
في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يسترضع الحمقى فان اللبن ينسبه وعند ابي حبيب يعدي وعند القضاعي
بسند حسن من حديث ابن عباس مرفوعا الرضاع يغير الطباع وعند ابن حبيب
ايضا مرفوعا انه نهى عن استرضاع الفاجرة وعن عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع
لمن تسترضع واما الحمية من البرد فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه
قتل ابا الدرداء لكن قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا اعرفه فان كان وارد فمحمله
الى تاويل فان ابا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى واما
ما اشتهر ايضا اصل كل داء البرودة فقال السخاوي رواه ابو نعيم والمستغفري
معا في الطب النبوي والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن

البصري عن انس رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين وغيره
وللبيهقي ايضا من حديث ابن المبارك عن السايب بن عبد الله ابن علي بن زحر
عن ابن عباس مرفوعا مثله وحديث عمرو بن الحارث عن دراج عن ابي الهيثم
عن ابي سعيد رفعه اصل كل داء من البرودة وقد قال الدارقطني عقب حديث
انس من علله عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه بالصواب وجعله
الزمخشري في الفايق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف
قال اهل اللغة رواه المحدثون يعني باسكان الراء والصواب البردة يعني بالفتح
وهي التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة ولانها تثقل على المعدة وبطيئة الذهاب
من برد واذا ثبت وسكن وقد اورد ابو نعيم مضموما لهذه الاحاديث
حديث الحارث بن فضيل عن زياد بن ميناء عن ابي هريرة رفعه استدفيوا من
الحر والبرد وكذا اورد المستغفري معها عنه منها حديث اصل كل داء
البرد وهما ضعيفان وذلك شاهد لما حكي عن اللغويين في كون المحدثين
رووه بالسكون انتهى الفصل الثاني في تعبيره صلى الله عليه وسلم
الرويا يقال عبرت الرويا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد
للمبالغة في ذلك واما الرويا بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة فهي ما يراه الشخص في
منامه قال القاضي ابو بكر بن العربي الرويا ادراكات علقها الله تعالى في قلب
العبد على يد ملك او شيطان اما باسمايها او حقيقتها واما بكناها اي بعبارتها
واما تخليطا وذهب القاضي ابو بكر بن الطيب الى انها اعتقادات واحتج
بان الراي قد يرى نفسه بهيمة او طايرا مثلا وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون
اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي الاول
اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل فالادراك
انما يتعلق به لا باصل الذات وقال المازري كثر كلام الناس في حقيقة
الرويا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف
على حقايق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع
فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى الطب ينسب جميع الرويا الى الاخلاط فيقول
من غلب عليه البلغم راى انه يسبح في الماء ونحو ذلك لمناسبة الماء طبيعة
البلغم ومن غلبت عليه الصفراء راى النيران والصعود في الجو وهكذا
الى اخره وهذا وان جوزه العقل وجاز ان يجري الله العادة به لكنه لم يقم
عليه دليل ولا اضطردت به عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن ينتمي

الى الفلسفة يقولان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش
فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول
لكونه تحكما لا برهان عليه والانتقاش من صفات الاجسام واكثر ما يجري في العالم
العلوي الاعراض والاعراض لا ينتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل السنة
ان الله تعالى يخلق في النايم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فاذا خلقها
فكانه جعلها علما على امور اخرى يخلقها في ثاني الحال ومهما وقع منها على خلاف
المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره ان الله تعالى خلق الغيم علامة على المطر
وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما
يسره وتارة بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضره والعلم عند الله تعالى
واخرج الحاكم والعقيلي من رواية محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله ابن عمر
عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل يرى الرويا فمنها ما يصدق
ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد
ولا امة ينام فيمتلي نوما الا تخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون
العرش فتلك الرويا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فتلك الرويا
التي تكذب قال الذهبي في تلخيصه هذا الحديث منكر ولم يصححه المولف
وذكر ابن القيم حديثا مرفوعا غير معزو ان رويا المومن كلام يكلمه ربه في المنام
ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول من حديث عبادة بن الصامت
اخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من رواية عن شيخه عمر بن ابي عمر
وهو واه وفي سنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة قال
الحكيم قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب قال من وراء حجاب اي في المنام ورويا الانبيا وحي
بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رويا غير الانبيا
فانها قد يحضرها الشيطان وقال الحكيم ايضا وكل الله تعالى بالرويا
ملكا اطلع على احوال بني ادم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل
على قصته مثلا فاذا نام مثل له تلك الاشيا على طريق الحكمة ليكون له بشرى
او نذارة او معاتبة والادمي قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة
بينهما فهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه
روياه اما بتغليطه فيها او بغفلته عنها وفي البخاري من حديث انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرويا الحسنة من الرجل الصالح جزء من

ستة واربعين جزوا من النبوة والمراد غالب رويا الصالحين والا فالصالح
قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق
فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم وقد استشكل كون الرويا جزوا من النبوة
مع ان النبوة قد انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واجيب بان الرويا ان
وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت
من غير النبي فهي جزء من اجزاء النبوة على سبيل المجاز وقيل المعنى انها جزء
من علم النبوة لان النبوة وان انقطعت فعلمها باق وتعقب بقول
مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سيل ايعبر الرويا كل احد فقال ابا لنبوة يلعب
ثم قال الرويا جزء من النبوة واجيب بانه لم يرد انها نبوة باقية
وانما اراد انها لما اشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي ان
يتكلم فيها بغير علم فليس المراد ان الرويا الصالحة نبوة لان المراد تشبيه
الرويا بالنبوة وجزء الشي لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال اشهد
ان لا اله الا الله رافعا صوته لا يسمى موذنا وفي حديث ام كرز الكعبية
عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وعند احمد من حديث عايشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرويا
وفي حديث ابن عباس عند مسلم وابي داود انه عليه الصلاة والسلام كشف
الستارة وراسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف
ابي بكر فقال يا ايها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرويا الصالحة
يراها المسلم او ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فان من
الرويا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمومن رفقا به ليستعد
لما يقع قبل وقوعه وقوله من الرجل لا مفهوم له فان المراة الصالحة كذلك
وحكى ابن بطال الاتفاق عليه وقوله جزء من ستة واربعين جزوا من
النبوة كذا في اكثر الاحاديث وروى مسلم من حديث ابي هريرة جزء
من خمسة واربعين جزوا وعنده ايضا من حديث ابن عمر جزوا من
سبعين جزوا وعند الطبراني جزو من ستة وسبعين وسنده
ضعيف وعند ابن عبد البر من طريق عبد العزيز بن المختار عن ثابت
عن انس مرفوعا جزو من ستة وعشرين جزوا ووقع في شرح مسلم
للنووي وفي رواية عبادة اربعة وعشرين والذي تحصل من الروايات
عشرة اقلها ما عند النووي واكثرها من ستة وسبعين واضربنا باقيها

خوف الاطالة قال القاضي ابو بكر بن العربي اجزا النبوة لا يعلم حقيقتها الا ملك
او نبي وانما القدر الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم ان الرويا جزو من اجزا
النبوة في الجملة فيها لان فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما واما تفضيل
النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة وقال المازري لا يلزم العالم
ان يعرف كل شي جملة وتفصيلا فقد جعل الله للعالم حدا يقف عنده فمنه ما
يعلم المراد به جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا
القبيل وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وابدي لها مناسبة
فنقل ابن بطال عن ابي سعيد السفاقسي ان بعض اهل العلم ذكر ان
الله تعالى وحى الى نبيه في المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك في
اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحي في المنام جزو من ستة
واربعين جزوا لانه عاش بعد النبوة ثلاثة وعشرين سنة على الصحيح
قال ابن بطال هذا التاويل بعيد من وجهين احدهما انه قد اختلف
في قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني انه يبقى حديث
السبعين جزوا بغير معنى وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المسئلة
سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض اهل العلم يقولون في تاويل هذا
العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك انه عليه الصلاة والسلام اقام بعد
الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحى اليه في منامه ستة اشهر
وهي نصف سنة فهي جزو من ستة واربعين جزوا من النبوة قال
الخطابي وهذا وان كان وجها يحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما
يجب على من قاله ان يثبت بما ادعاه خبرا ولم يسمع فيه اثرا ولا ذكر
مدعيه في ذلك خبرا فكانه قاله على سبيل الظن والظن لا يغني عن الحق شيا
وليس كلما خفي علينا علمه يلزمنا حجته كاعداد الركعات وايام الصيام
ورمي الجمار فانا لا نصل من علمها الى امر يوجب حصرها تحت اعدادها
ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في المناسبات
غير ذلك ما يطول ذكره وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اصدق الرويا بالاسحار رواه الترمذي والدارمي وروى مسلم من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد
رويا المسلم تكذب واصدقكم رويا اصدقكم حديثا قال الخطابي في
المعالم في قوله اذا اقترب الزمان قولان احدهما ان يكون معناه

تقارب

تقارب زمان الليل وزمان النهار وهو وقت استوايهما ايام الربيع وذلك
وقت اعتدال الطبايع غالبا قال والمعبرون يقولون اصدق الرويا
ما كان عند اعتدال الليل والنهار وادراك الثمار والثاني ان اقتراب الزمان
انتهى مدته اذا دنا قيام الساعة وتعقب الاول بانه يبعد التقييد
بالمسلم فان الوقت الذي تعتدل فيه الطبايع لا تختص به وجزم ابن بطال
بان الثاني هو الصواب واستند الى ما اخرجه الترمذي من طريق معمر
عن ايوب وفي هذا الحديث بلفظ في اخر الزمان لا تكذب رويا المومن
وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي عند بسط العدل وكثرة الامن
وبسط الخير والرزق فان ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه فتتقارب
اطرافه وقال القرطبي في المفهم المراد والله اعلم باخر الزمان المذكور
في هذا الحديث زمان الطايفة الباقية مع عيسى بن مريم عليهما السلام
بعد قتله الدجال فاهل هذا الزمان احسن هذه الامة حالا بعد الصدر
الاول واصدقهم اقوالا فكانت روياهم لا تكذب ومن ثم قال عقب
هذا واصدقكم رويا اصدقكم حديثا وانما كان كذلك لان من كثر صدقه
تنور قلبه وقوي ادراكه وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة وكذلك
من كان غالب احواله الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه فلا يرى
الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه يفسد قلبه ويظلم فلا
يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيرى الصادق
ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم انتهى ملخصا
وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
راى احدكم الرويا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها
واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من
شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره رواه البخاري وفي رواية
مسلم والرويا السوء من الشيطان فمن راى رويا فكره منها شيا فلينفث
عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها احدا فان راى
رويا حسنة فليبشر ولا يخبر بها الا من يحب وقوله فليبشر
بفتح التحتانية وسكون الموحدة وضم المعجمة من البشرى وفي حديث
ابي رزين عند الترمذي ولا يقصها الا على واد بتشديد الدال اسم
فاعل من الود او ذي راي وفي اخرى ولا تحدث بها الا لبيبا او حبيبا

وفي اخرى لا تقص رؤياك الا على عالم او ناصح وفي حديث ابي سعيد عند مسلم فليحمد
الله عليها وليحدث بها • وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا الصالحة ثلاثة اشيا
ان يحمد الله عليها وان يستبشر بها وان يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره
وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا المكروهة اربعة اشيا ان يتعوذ بالله من شرها
ومن شر الشيطان ويتفل حين يهب من نومه ولا يذكرها لاحد اصلا • وفي
البخاري من حديث ابي هريرة خامسة وهي الصلاة ولفظه فمن راى شيا يكرهه
فلا يقصه على احد وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم
وزاد مسلم سادسة وهي التحول عن جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر رفعه اذا راى
احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان
ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي ان يجمع
هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فان اقتصر على بعضها اجزاه في دفع
ضررها كما صرحت به الاحاديث • وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لم ير في
شي من الاحاديث الاقتصار على واحد ثم قال لكن اشار المهلب الى ان الاستعاذة
كافية في دفع شرها انتهى • ولا ريب ان الصلاة تجمع ذلك كله كما اشار اليه القرطبي
لانه اذا قام يصلي تحول عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء
واستعاذ قبل القراة ثم دعا الله تعالى في اقرب الاحوال اليه فيكفيه الله شرها
وذكر بعضهم سابعة وهي قراة اية الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا فان اخذ
من عموم قوله في حديث ابي هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه قال وينبغي
ان يقراها في صلاته المذكورة وحكمة التفل كما قال القاضي عياض مر
به طرد الشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا وخصت
به اليسار لانها محل الاقذار ونحوها التثليث للتاكيد وقد ورد التفل
والنفث والبصق وقال النووي في الكلام على النفث في الرقية تبعا
للقاضي عياض اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا
يكونان الا بريق وقال ابو عبيد يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث
وقيل عكسه وسيلت عايشة عن النفث في الرقية فقالت كما ينفث اكل
الزبيب لا ريق معه قال ولا اعتبار بما تخرج معه من بلة بغير قصد
قال وقد جا في حديث ابي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه
قال القاضي عياض وفايدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهوا والنفس
المباشر للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والاسما